



دوايات عالمية للحب



قصة : روبين كوك
ترجمة : إناس النجار
إعداد : د. أحمد خالد توفيق

الفيسبوكية

المؤلف

لا نعرف الكثير عن (روبين كوك) سوى أنه طبيب
أمراض عيون، يعيش في (بوسطن)، ومحاضر في
مدرسة (هارفارد) الطبية. تخرج في جامعة (وزليان)،
وكلية الأطباء والجراحين جامعة (كولومبيا) ..

والرواية الحالية كتبها عام ١٩٧٧، وسرعان ما حولها
(مايكل كريشتون) - وهو طبيب آخر - إلى فيلم كابوسي
بنفس الاسم، أثار اهتمامًا عالميًا، ولعله من الجدير
 بالذكر، أنه هو الفيلم الذي أصر الرئيس الأمريكي (كارتر)
على أن يراه الرئيس الراحل (أنور السادات)، إبان توقيع
معاهدة (كامب ديفيد) كنموذج لما وصل إليه فن السينما
في (أمريكا) ..

يمكننا القول إن د. (كوك) لا يحمل ذكريات سارة لمهنة
الطب .. بل وإنه يحيلها في روايته الحالية إلى كابوس
حقيقي، ولكنه يقدم في نهاية الرواية نوعًا من الاعتذار،
عما قدمه فيها من نبوءات مروعة، (بدأت تتحقق
للأسف) .. على اعتبار أن عنده ما يدفعه إلى هذا
التشاؤم ..

روايات عالمية الأهمية

سلسلة جديدة، تقدم لك أروع ما يزخر به الأدب
العالمي، في مختلف صنوفه ..

من الألفاظ البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسة إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

واليك ..

د. نبيل فاروق

يقول د. (كوك) في تعليقه الختامي على الرواية :
« رأيت إعلاناً في جريدة (تريبون) عام ١٩٦٨ ،
يعرض فيه رجل بيع أى جزء من جسده ، لمن يدفع مبلغاً
من المال ، يتم الاتفاق عليه . بل إننى رأيت إعلانات من
أحياء يبيعون قلوبهم لمن يدفع أكثر .. »

وفي مراكز الكلى يوجد طابور طويل ، من المرضى
القادرين ، ينتظرون أن يجدوا كلى صالحة لزراعتها لهم ،
والمشرفون على هذه المراكز ، يعرفون شيئاً اسمه
(متلازمة الإجازة) ، حين ترتفع معنويات المرضى كلما
دنت إحدى العطلات ، لأنهم يتوقعون حركة سير أكثر ..
وحوادث تصادم أكثر .. ومزيداً من الكلى الصالحة
للزراعة .. »

والحل لهذه الكارثة فى رأى ، هو إيجاد تسهيلات
قانونية ودينية أكثر ، لعملية أخذ الأعضاء من المتوفين ،
الذين لم تمض ساعة على وفاتهم ، بدلاً من ترك هذه
الأعضاء لتلتهمها الديدان أو لهيب المحرقة .. »

★ ★ ★

كما ذكرنا تحولت هذه الرواية إلى فيلم بنفس الاسم ..
المخرج هو (مايكل كريشتون) الذى تحول بعد ذلك إلى
التأليف ، فقدم لنا روايات شهيرة من الخيال العلمى ،

المشبع بجو الطب ، نذكر منها : (خلية أندروميديا) ..
(رجل الأطراف الكهربائية) .. (حديقة جوراسيك) ..
قام ببطولة الفيلم الممثلة الكندية (جنيفر بوجولد) مع
(مايكل دوجلاس) و (إليزابيث أشلى) ، والممثل العجوز
(ريتشارد وينمارك) ..

الموسيقا التصويرية كانت لـ (جيرى جولد سميث)
الذى جعل من شريط الصوت كابوساً حقيقياً ، يواكب
الأحداث ولا ينافسها ..
[ملاحظة أخيرة] ..

نحن لا نهدف إلى أن نقصر سلسلة (روايات عالمية
للجيب) على الروايات التى تحولت إلى أفلام سينمائية ،
لكننا نحاول أن نقدم روايات مشوقة ، بها قدر لا بأس به
من التسلية والإفادة ، ومن المصادفة أن هذه هى نفس
نوعية الروايات ، التى تجذب السينمائيين لتقديمها .. !
فالسينما كما نعلم لم تترك رواية صالحة (لا وقدمتها ..
والآن تعالوا نقرأ القصة مغاً ..

د . أحمد خالد

١٤ فبراير ١٩٧٦ :

ها هي ذى (نانسى جرينلى) ، ممددة على ظهرها ،
فوق منضدة الجراحة بغرفة العمليات رقم (٨) .. وبالرغم
من العقاقير العديدة التى حقنوها بها ، قاتلين إنها ستسلم
عينها للنعاس ، فقد ظل النوم حلما عزيزا ..

كانت تعقت المستشفى .. وذت لو تصرخ .. تهرع فارة
من هذه الغرفة الكئيبة ، لكنها لم تجرؤ قط ..
جو المستشفى البارد الكئيب .. وتلك الرائحة .. رائحة
الموت والمرض ..

إنها الساعة وعشر دقائق .. فى الخارج سماء
(بوسطن) ملبدة بالغيوم ، وكشافات السيارات مضاءة فى
هذه الساعة من النهار ، بينما الريح الصرصر تصدر
نواحيها الكئيب .. والمارة يجذون السير ..

أما فى غرفة العمليات ، فكان الأمر يشبه خلية نحل ..
إذ يجب إعداد المريضة وتخيديرها ، قبل أن تغدو الساعة
السابعة والنصف ..

حوالط غرفة العمليات ، مثل مثيلاتها فى كل الغرف
الأخرى ..

البلاط محايد اللون .. والأرضية من (الفينيل) ..

الجراحة : توسيع وكحت للرحم .

المريضة : (نانسي جرينلى) .

طبيب التخدير : (روبرت بيلنج) .

أما باقى الفريق ، فهو ممرضة التعقيم (روث) ،

وممرضة العمليات (داماتيو) ، والجراح الشاب (جورج

ماجور) ، الذى كان فى الغرفة المجاورة يرتدى مريولة

الجراحة ..

كان النزف قد بدأ منذ عشرة أيام ..

تجاهلته (نانسى) فى البدء .. ثم انتابها القلق .. بضع

مكالمات هاتفية مع الدكتور (ماجور) ، بثت الطمأنينة فى

قلبها .. ثم بدأت تشعر بأن الأمر أخطر من مجرد اختلال

فى دورتها الشهرية ..

سيارة الإسعاف تحملها إلى المستشفى - دون سريئة

ولا تشنج - حيث وجدت نفسها على سرير الفحص فى

حجرة الطوارئ ، هى تمقت الفحوص النسائية ، لكنها لم

تستطع أن تمنع نفسها من الشعور بالسعادة ، حين سمعت

صوت د . (ماجور) ..

وفى استسلام خضعت للفحص .. الستار الرقيق الذى

يفصلها عن الناس المحتشدين فى قاعة الطوارئ ،

يتحرك .. يهتز .. ومن حين لآخر ترى وجوه أطفال

مجروحين ، وشيوخ منهكين .. وعلى الأرض كانت

مبولة الفراش ملقاة فى إهمال ، وبها جلطة دموية كبيرة ،

يستطيع كل من يريد أن يراها .. فى حين يقف د . (ماجور)

يفحصها ، ويثرثر مع الممرضة عن حالة أخرى ..

كان كل هذا قاسياً مريزاً .. وأغلقت (نانسى) عينيها ..

وفى صمت بكت ..

★ ★ ★

والآن .. إضاءة (الفلورسنت) فى غرفة العمليات ،

تثبت (نانسى) عينيها عليها ، وتفكر .. سينتهى هذا

الكابوس بعد دقائق .. سأعود لدارى بعدها ..

عينان بنيتان صافيتان من خلف قناع ترمقانهما :

- هل تشعرين براحة ؟

كانت هذه هى الممرضة (جلوريا داماتيو) وهى تشد

الحزام حول ذراع (نانسى) الأيمن ، لتثبتته إلى جانبها ..

- نعم ..

قالتها (نانسى) كاذبة .. فالمنضدة غير مريحة على

الإطلاق ، ومفعول (الأتروبين) جعل حلقها جافاً ولسانها

لزجاً ، كأنما هو مبلل بالصمغ ..

د . (بيلنج) عاكف على جهازه المكون من شبكة من

الصلب اللامع ، وأجهزة القياس ، وأسطوانات ملونة من الغاز المضغوط .. ثمة بطاقة بنية كتب عليها (فلوثان) ، وتحتها صيغة كيميائية معقدة ، حاولت أن تقرأها (٢ برومو - ٢ كلورو - ١ واوا - ثلاثي فلورو إيثان) .. كان د. (بيلنج) يارعا .. ربما أبرع طبيب تخدير في المستشفى ، وكان يعرف ذلك جيدا .. ولم يكن يترك شيئا للمصادفة ، لهذا أعد لنفسه قائمة بالإجراءات ، لا بد من أن يراجعها قبل كل جراحة ..

الخطوة الثانية عشرة ، هي توصيل طرف الخرطوم إلى الجهاز ، وإدخال طرفه الآخر في كيس التنفس ، الذي يمسح من أربعة إلى خمسة لترات هواء ..

الخطوة الثالثة عشرة ، هي الاستيثاق من أن مسامات التحكم كلها في الاتجاه الصحيح .. ثم يفحص مقاييس قياس الضغط في أسطواناتي الأكسجين ، ويتأكد من امتلائهما بالكامل ..

وببده شرع يضرب على ظهر راحة (نانسي) اليسرى ، لتتفر عروقها ..
وغمغم :

.. ستكون هناك وخزة صغيرة الآن ..

وشعرت بالألم يشتد ثم بدأ يتلاشى .. ولمحت د. (ماجور) يندلف من باب غرفة العمليات هاتفا في مرجح :
ستنامين بعد قليل يا (نانسي) .. أنت فتاة محظوظة ؛ لأن د. (بيلنج) هو من يخدرك .. وهو خير أطباء مستشفىنا .. قال د. (بيلنج) وهو يوصل قناع الوجه بأنبوب التخدير :

- هذا صحيح .. الأنبوب رقم ثمانية يا (جلوريا) .. يمكنك أن تبدأ التعقيم إنني يا د. (ماجور) ؛ لأننا سنكون مستعدين في تمام الساعة والنصف ..

- مرحي ..

ثم إنه سار نحو الباب .. واستدار نحو (روث جنكنز) التي كانت ترتب الأدوات الطبية على المنضدة وقال :
- أريد الأدوات الخاصة بي يا (روث) ، لا معدات المستشفى القديمة ..

وخرج قبل أن يتلقى ردًا ..

صوت ضربات قلب (نانسي) يتصاعد ، من جهاز تسجيل ضربات القلب ، والمخطط الذي أوصلوه بها .. على حين ساعدتها (جلوريا) على النزول بجسدها لأسفل ، وعلقت كل ساق من ساقها ، في ركاب معلق بحامل معدني من الصلب ..

غمغم د. (بيلنج) وهو يخرج الهواء الزائد من محقته :
- كل شيء على ما يرام .. ستنامين الآن يا (نانسي)
بعد تعاطي (البنتوثال) .. ألا تشعرين بالنعاس الآن ؟
- لا أعرف ما المفروض أن أشعر به ..

بدقة بالغة يوصل د. (بيلنج) محقن (البنتوثال)
بالصمام الوريدي ثلاثي الاتجاهات ، ويسألها أن تعذ من
واحد إلى خمسين ..

كان يتوقع أنها ستغيب عن العالم قبل أن تصل إلى
خمس عشرة .. لكنها ظلت تقاوم النعاس ، متمتعة بإرادة
لا بأس بها ، مما اضطره إلى زيادة الجرعة قليلاً ..
وفي الساعة وأربع وعشرين دقيقة .. نامت (نانسي)
جرينلي للمرة الأخيرة في حياتها ..

★ ★ ★

كان د. (بيلنج) يؤمن بأن الأمور ستسير كما يشتهي ..
فالمرأة شابة وصحتها لا بأس بها ، ولقد استوثق من جميع
الخطوات .. جعلها تتنفس من خليط من (الهالوثين)
و (أكسيد النيتروز) و (الأكسجين) ..
ثم إنه حققها بستنيمترين من (السكسينايل كولين) حتى
تسترخى عضلاتها ، ويتمكن من إيلاج الأنبوب عبر
حنجرتها ..

إن هذا العقار يشابه في تأثيره سم (الكورار) ، الذي
يستعمله متوحشو (الأمازون) .. ويحدث شللاً في عضلات
التنفس وعضلات الحلق ، لكن د. (بيلنج) كان يسيطر على
الموقف تمامًا ..

بهذوء ورصانة - برغم توتر أعصابه - يضع قناع
(الأكسجين) على وجهها ، ثم أمسك بمنظار الحنجرة
(الخطوة رقم ٢٢ في قائمته) ، وجذب لسانها للإمام .. ثم
شرع بحرك طرف اللهاة جانباً ، ليرى أفضل .. وأولج
أنبوب القصبة الهوائية بين الحبلين الصوتيين المحيطين
بالحنجرة .. وأوصلها بالكيس ..

وبمجرد أن ضغط على كيس الهواء ، شاهد صدرها يعلو
ويهبط بنفس القدر .. كل شيء على ما يرام .. إن تنفسها
ملكه ..

كل شيء على ما يرام .. وضربات قلبها مستقرة
هادئة ..

عليه الآن أن يواصل ضغط الكيس بيده ، ليجعلها
تتنفس .. إلى أن ينتهي عمل (السكسينايل كولين) بعد
ثمان دقائق .. عندئذ يعود تنفسها ويمكنه أن يسترخى
قليلاً ..

والحقيقة أن عملية التخدير، كانت دائماً ما تسبب
د. د. (بيلنج) نفس التوتر والقلق، منذ بدأ حياته المهنية..
لكنه كان يخفي ذلك خلف قناع من الاحتراف والهدوء..
لكنه لم ينس أن باستطاعته تناول القهوة، بعد أربعين
دقيقة، حين ينتهي كل هذا.. وظلّ يعنى نفسه بذلك..
أما د. (ماجور) فجلس هناك بين ساقى (نانسى)،
وتفحص مبيضيهما، ثم أعلن أنهما (برقوقتان)، وهو
الوصف الذى يطلقه دوماً على المبايض الطبيعية..
قام بتوسيع عنق الرحم برفق، وأزال الجلطات الدموية
بالشفاط..
وهنا لاحظ د. (بيلنج) تغييراً طفيفاً، فى انتظام ضربات
القلب..
وعلى الشاشة أدرك أن النبض تدنى إلى ستين نبضة..
ضغط الدم قد صار ٦٠/٩٠، ولم يدر سبباً لهذا
الانخفاض غير المقلق برغم كل شيء.. فليسأل طبيب
أمراض (النساء)..
د. د. (ماجور) .. هلا توقفت لحظة؟ .. انخفض ضغط
الدم نوعاً.. فما هى كمية فقد الدماء عندك؟
.. لا يمكن أن تتجاوز نصف اللتر بحال..
وضع د. (بيلنج) السماعة فى أذنيه.. وغمغم:
.. غريب!.. إن ضغطها قد صار ٦٠/٩٠..
.. وماذا فى ذلك؟

.. لا شيء.. لكنه لم يكن كذلك.. انخفض ولا تفسير
عندى..
.. لا بأس.. لونها لم يتغير..
لكن د. (بيلنج) ظلّ قلقاً، يشعر بأن شيئاً ما ليس على
ما يرام..
تحركت حاسته السادسة، لتنبهه بذلك، والغريب أنها
.. (نانسى) .. لم تستعد تنفسها التلقائى، برغم أن جرعة
(السكسينايل) قد انتهت مفعولها بالتأكيد..
قال د. (ماجور) مطمئناً:
.. أنا سأفرغ بعد خمس دقائق..
تنفس د. (بيلنج) الصعداء وزاد من ضخ (الأكسجين)
إلى رئتي (نانسى)، فقد كان راغباً فى إنهاء تخديرها
بأسرع ما يمكن.. ومن على جبينه مسح حبات العرق
المتزايدة..
وفى الساعة وست وخمسين دقيقة، مَدَّ أصابعه ليفتح
جفنى المرأة الشابة ويتفحص حدقتيها..
كان إنساناً عينيها متمددين تماماً..
وتجمد الدم فى عروقه د. (بيلنج)..
كان هناك خطأ ما..
إن أسوأ كوابيسه قد تحقق..
★ ★ ★

الاثنين ٢٣ فبراير الساعة ٧,١٥ صباحاً :

الثلج يتساقط كقطن مندوف ، والطقس بالغ البرودة ،
إذ تدفع الريح الرقائق البللورية نحو الشرفة الصغيرة ،
المظلة على شارع (لونغوود) .. والشمس تحجبها سحب
كثيفة رمادية ..

وفي فراشها تقلبت (سوزان هويلر) ، بعد نوم احتشد
بأضغاث الأحلام ..

كانت في حجرتها بالطابق الثالث من مسكن المدرسة
الطبية ..

لقد أتت - منذ خمسة أيام فقط - أول سنتين من
دراستها للعلوم الأساسية الطبية ، وأحرزت نجاحاً باهراً ،
حتى أن كراسات محاضراتها غدت ذات صيت بين الطلبة ،
والكل يتنافس على اقتنائها ..

كان الجميع يتندرون بمواظبتها على حضور الدروس ،
لكن السبب المباشر الذي لم تعلنه قط ، هو أنها - وقد
اختارت مجاًلاً يعج بالرجال - لم تكن قادرة على التغيب
دون أن يكون ذلك ملحوظاً .. والحق أن (سوزان) كانت



وفي الساعة وست وخمسين دقيقة ، مَدَّ أصابعه ليفتح جفنى المرأة

الشابة ويتفحص حدقيها ..

جديرة بالملاحظة .. فهي شابة بالغة الجاذبية في الثالثة والعشرين من العمر ..

ولنقرب صورتها أكثر للقارئ ، نقول إن شعرها في لون سنابل القمح ، طويل جدًا ، مما يضطرها إلى عقصه خلف ظهرها كذيل حصان ..

وكان وجهها عريضًا .. بينما كانت عيناها خليطًا من اللونين الأزرق والأخضر ، مع لمسة من البنى ، تتبدل مع تبدل الضوء ..

إنها ذلك المزيج النادر من الجمال والذكاء مع تذوق جيد للأدب ..

وللأسف كان لهذا مثالبه ..

فهي - كما قلنا آنفاً - لا تستطيع التغيب ، دون أن يكون ذلك ملحوظًا ..

بالإضافة إلى أن هذا الجمال ، كان مما يؤثر حول صاحبه الأقاويل .. ويجعل من لا يعرفها بحسبها ساذجة أو حمقاء ، كمعظم الفتيات الجميلات ..

ولك أن تتصور - إنن - أنه لم يكن لديها أصدقاء كثيرون .. فإن ذكاءها كان يخيف الرجال ، بالإضافة إلى أنه يجعلها تملّ سريعًا كل من تعرفه ، إذ تدرك مدى ثقافته ..

اليوم هو بداية تبدل حقيقي في حياة (سوزان) .. لقد انتهى عهد المحاضرات ، وسيكون عليها أن تتعامل مع مرضى حقيقيين لأول مرة .. وكان هذا يفرعها .. هي لا تعرف كيف تكون طبيبة .. هي تشك في قدرتها على عمل شيء سوى القراءة والاستذكار .. ولعل هذا هو ما جعل نومها قلقلًا ..

إنها السابعة والرابع ..

في توتر تغلق المنبه جوار فراشها ، وتنزل قدميها لتقف على أرض الحجرة الباردة غير المرحبة ..

إنها حجرتها منذ عامين .. هي بنفسها طلت الجدران بهذا اللون الأصفر الفاتح .. وفصلت تلك الستائر خضراء اللون .. وألصقت هذه المناظر الطبيعية على الحوائط .. أما هذا المكتب ذو الخشب العتيق ، فطالما جلست عليه تدرس ، والآن يوجد عليه كتاب عن تشخيص الأمراض السريري ، قرأته مرتين دون أن يزيد ذلك من ثقته بنفسها ..

أما قميص النوم الذي ترتديه ، فهدية من أبيها .. كان يحب أن يراه عليها ، وكان يفضلها على أخويها الأصغر منها ، مما أكسبها ثقة بالنفس لا بأس بها .. ثقة كانت بحاجة إليها ، كي تجتاز سنى المراهقة الكئيبة ..

وتنهدت إذ تذكرت ..

كان أبوها رجلاً قوى الشخصية كريماً لطيفاً فى الوقت ذاته ، ولقد فرض شخصيته على الدار ، فتضاءل الجميع .. ومثله شبت (سوزان) ، فوجدت نفسها مرغمة على لعب دور قيادى ، فى كل مراحل حياتها ، برغم أنها لم تحب ذلك قط .. كانت تفضل أدوار الظل ..

دخلت الحمام ، ووقفت تتأمل الحسناء ، التى ترمقها من الناحية الأخرى للمرأة .. فردت ذراعها فى الهواء ، وهتفت محدثة نفسها :

- ليتك كنت راقصة باليه يا (سوزان) ، بدلاً من هذه المهنة ..

لكنها كانت تدرك ، أنها لا تريد حقاً أن تكون راقصة .. هى بحاجة إلى مهنة تمارس فيها قدراتها العقلية .

لقد كانت (سوزان) جميلة ..

لكنها فتاة عملية .. عملية تماماً ..

★ ★ ★

الاثنين ٢٣ فبراير الساعة ٧.٣٠ صباحاً :

لم يكن مستشفى (بوسطون) التذكارى متميزاً من الناحية المعمارية .. فقد بنى منذ أكثر من قرن ، بكتل من الحجارة البنية اللون ، التى تراصت بمهارة لكن دون أناقة .. ويكون المبنى من طابقين ، بهما عنابر عامة واسعة ، لم تعد عملية فى الوقت الحالى ، تتناثر حوله مبان من الطوب الأحمر ذات نوافذ قذرة ..

لكن أحداً لم يلحظ قبح المستشفى ، مادام اسمها مرتبطاً فى الأذهان ، بأنها تضم أحدث الأجهزة وأكفأ الأطباء .. ولقد أضفى عليها الأطباء نوعاً من القدسية الأكاديمية

وأمام المستشفى كان يظهر جزء من ميناء (بوسطون) ، بمياهه السوداء المخلوطة بماء المجارى عفن الرائحة يفصله - الميناء - عن المستشفى فناء من الأسمنت ، تناثرت فيه أوراق الحرائد والعلب الفارغة .

وفى هذه اللحظة ، بدأت السيمفونية اليومية فى المستشفى ..

واحد وعشرون مبضعاً ، يشقون واحداً وعشرين نسيخاً بشرياً ، لواحد وعشرين مريضاً يرقدون بلا حراك ،

في حذى وعشرين عرشة عفتت . كك نحن نرى من
كل ولى نمتت قبل لينة ظهرا . من مسطر عرفت
تعملان حتى الثامنة مساء ..

وفي سراحة لحر حى ، نجد شواء ناء ، فلا يوجد
بها سواد ردى . حشمت بخت حوز حدى . وقت
عنه يوش ونسجوده . كى من تحرد نبع سعة
وسفر . كى سعة (سسر - ب - و - ر - ر)

وما احد عرف - يد شى ذك و سسر (سعة - ما - بل
نفسه حى (ساء) فى سعة شقة يعرفون به يعرفون
شده شحات لحر حية . من حمصى عدم سرت شده
بحر و د حى على رشمه . برعم انه لى كى برى اى حى
شى شافى . وكى شول دوما انه نيس على ما يرد
وما شى شيو شده لى كى كثير نسول ، حده لا
حرج - نعد من شعة شوية لوى حوى

ما يلى شيو (مارك ه - نور) - و - ر - ب - ه
شى شى (شى) - و - ر - ح - مقدم حدى
كك سول شى مسمسى (سسطن) وقت حى
مسمسى من حى لى برىد ، فيخذ شيا من (و - ر - ر)
امامه ..

كك حاشا على النصد برشف نفهوه . ويرت اسماء
النضة الذين سيقوم بمحصرتهم (هاشى حولدبرج) ،
اسور (هوبلر) ، (بول كارس) ، (جوفرى فيرويزر) .
هك كدة لى . وسنمصى معه الشهر القادم .. وحىما
سنتهم به حيا ، لانه رىصى وطيب ووسم الى
حذ ما ..

لقد مرض كسر الاطباء المقيمين ، بتهاب الكبد
الوبائى ، وتلقى (بينوز) استدعاء من د (هوارد
سارث) ، رئيس قسم الجراحة فى مكنه . وهذا يعنى
كدة . من هك حطاء رىكها ولا يدكر

مكن (سارك) كى على عمر العادة لطيف بل وائلى
عنه . ثم سابه عم ادا كى برعب فى الاشراف على
مجموعة الطلبة ..

ولم يكن ممك رفض طلب لـ (سارك) ، والا كان هذا
ستحرا لهذا وافق (بينوز) فى حماس ولا تردد
وسا فى اعداد جدول المحاضرات وتواريخها لهذا
شهر

كك هك كان مسمى مع (سولر) ، وهما من المقيمين
الحد الذين لم يمر عليهم مثر من عدم (داليس
كارتر ايت) و (روبرت ريد) ..

وكانا يعانيان الإحباط، بعد مازالت عنهما رهبة
المسئولية، وعرفا أنهما لا يؤديان دورا خاصا في
المستشفى..، وكان (ريد) بالذات، حساسا في كل
ما يتعلق بلون بشرته الأسمر.. وسريعا في تفسير كل
مطلب زائد منه، على أنه اضطهاد عنصري..
لهذا كان على (بيلوز) أن يعاملهما بحذر..
على أن الشيء الذي كان يعزيه، هو أنهما سيعاونانه،
في رعاية الطلاب الخمسة، وبالتالي لن يكون الأمر حملا
على كاهله.. بالإضافة إلى أنه سيعرف، كيف يحصل على
أقصى منفعة من هؤلاء الطلاب..
نعم.. كان (بيلوز) رجلا مباشرا.. ولولا ذلك لما وصل
إلى هذه الوظيفة، وسط منافسة عاتية لآخرهم..

★ ★ ★

الاثنين ٢٣ فبراير الساعة التاسعة صباحا :

كانت (سوزان هوينر) هي الثالثة ثلاثة، انفسوا في
سيارة (جيوفري) الجاجوار، لتوصيلهم من مساكن الطلبة
إلى المستشفى..، ولم تتسع السيارة الضيقة لـ (جورج
نايلز) و (هارفي جولد برج) مما اضطرهما إلى ركوب
المواصلات العامة، في وقت الذروة للوصول إلى
المستشفى..

وفي المستشفى وقفوا مرتبكين كالأطفال، لا يعرفون
كيف الصعود إلى الطابق الخامس، حيث ينتظرهم
د. (بيلوز) .. وكل طلبة الطب، يصيرون سلبين سريعي
الارتباك، بعد سنى الدراسة الطويلة..

وفي المصعد - وقد انحشروا جميعا - ، قرب (جورج
نايلز) فمه من أذن (سوزان) ، وهمس :
- لا أحسبني صاحب هذا المكان !

ولم يزد.. لكن (سوزان) فهمت تماما ما يريد قوله..
كانوا جميعا يتهيبون هذا المكان.. ويتهيّبون ضرورة
اتخاذ القرار الصائب.. فهم حقا يرتدون المعاطف
البیضاء، ويدون كأطباء.. لكنهم عاجزون عن القيام

بأى بصرف والسماعات الطبية المتدلية من جيوبهم لم تكن تستعمل إلا فيما بينهم ، أو على عدد محدود جداً من الممرضين . ولم يكن لهم نرسود من كيمياء حيوية ، أى دور فى زيادة شحاعتهم . فمعرفة ما يحدث للجوكوز فى الخلية ، لا يقد كثيراً فى علاج مريض صرع

الطابق الخامس أخيراً ..

نظمت (سوزان) الآخرين ، منجهة نحو موظف الإسعاف ، الذى ثبت سماعة الهالف على أنه ، وشرع يثرثر . كان المكان تعدته أشبه بخلية نحل ، والممرضات يهرعن هذا وهناك ، يعددن الممرضين التاليين فى الدور ، أو يعنين بمن انتهت جراحاتهم ..

- هلا أخبرتني من فضلك ..

رفع الموظف يده السري مقطعا ، وعاد بصرح فى السماعة :

- قل مره حري لا اسمعت من انصوصاء حولي ماداً . بعد سمعت لأمر بنفسى . إذ لم تكن لحدث (بلازما) . كان يجب ان نرى سقور ذلك . ان الجراحة ستبدأ فى الحادية عشرة ..

ثم نظر إلى (سوزان) :

- أية خدمة ؟

- نحن طلبية .. ونريد أن

أشار بقلمه جانباً .. وأمسك ورقة ، وشرع يكتب فيها بجنون :

- الآنسة (لينكويست) ..

نظرت (سوزان) إلى الآنسة المذكورة . كانت مبهمة مثله تماماً ، لكن (سوزان) سارت إليها قدماً ، بعد أن نظرت نظرة عتاب إلى زملائها الفتيان ، الذين وقفوا خلفها كأراتب مذعورة ..

- من فضلك .. نحن طلبية و ...

صاحت الآنسة (لينكويست) فى هستيريا وهى تمسك برأسها :

- ياله من يوم ! كل هذا العمل ، ثم يأتى بعض الطلبة ليزيدوا الحياة سوءاً ! ..

- نحن لا نريد سوى معرفة مكان الاستراحة

أشارت فى فتور إلى اتجاه ما ، ثم عدت تستكمل ما بدأته .. ومع الفتيان دخلت (سوزان) إلى الاستراحة ، التى تملؤها الكتب الطبية العتيقة ، والنشرات وكواب القهوة الفارغة .. وعلى ضوء مصباح الفلورسنت الأبيض ، رأوا لوحة خشبية ، امتلات بالاورق والتعليمات .. وعلى المكتب القديم جلس د (بيلوز)

امامه كراسته الصفراء . فما ان راهم حتى نظر الى
ساعته . لم تكن لديه تجارب في التدريس ، لكنه عرف
بالفطرة ان عليه ان يكون مسيطرا ورهيبا ..

نظر لهم في فتور .. وهتف :

- تأخرتم ثلث ساعة كملا . موعدكم كان التاسعة ..
لم ينبس أحدهم ببس شفة ، حتى لا يكون وحده موضع
اللوم ..

أمسك (بيلوز) بقطعة الطيشور ، ووقف أمام السبورة
المعلقة ، وقال في سماجة متعمدة :

- أهم صفات الجراح هي دقة المواعيد .. وعليكم أن
تعوا ذلك جيدا وإلا - صدقوني - ستكون إقامتكم هنا
مثل ..

وتوقف باحثا عن اللفظ المناسب . كان قد رأى
(سوزان) فطرت منه الكلمات وبعد لآي قل :

- مثل شقاء بارد طويل ..

أشعره جمال (سوزان) الكاسح بالهتف . بعدم
الراحة فلم يكن مستعدا لمواجهة هذا السحر ، حين أعذ
خطته ليكون حازما ..

استطرد (بيلوز) وهو يثبت عينيه على كل وجه

- وحدة العناية المركزة ، هي أكثر مكان يمكن أن
تعملوا منه . لكنه كذلك أخطرها .. ولن تصدروا أية

تذكرة دوائية ، دون أن أوقع أنا عليها ، أو أحد الأطباء
الدائمين الذين ستعرفونهم بعد قليل ..

نظرت له (سوزان) في تأمل ..

أدركت بنكائها أنه يعتمد الخطورة ، وأنه متصنع .. لم
يكن ثمة داع لكل هذا النوم على التأخير ، في اليوم الأول
من العمل .. وأدركت أنه شخصية ذاتية .. غير مستقرة ..
لا تحب النقد .. ككل الجراحين في الواقع ..

- النوبتجيات الليلية ، ستكون يوما كل خمسة أيام ،
لكل واحد منكم .. هذا ليس كثيرا .. وإذا رغب الآخرون في
البقاء ليلا ، فلا مانع .. ستقومون بعمل جدول فيما بينكم ،
وتعطونني نسخة منه .. يبدأ العمل في السادسة والنصف
صباحا ، لكن أريد منكم أن تروا المرضى ، وتجمعوا
المعلومات عنهم قبل البدء . اتفقنا ؟

همس (فيرويزر) في أذن (سوزان) :

- رباه !.. سيكون على الاستيقاظ قبل ميعاد دخولي

الفراش !

- هل ثمة أسئلة يا مستر (فيرويزر) ؟

- لا .. لا ..

صاح (فيروبير) وقد اثار فرعه أن (بيلوز) يعرف اسمه ..

قال (بيلوز) بشيء من السخرية :

- والآن تقابلون هيئة التمريض ، التي سترحب بكم كما يجب ..

فالت (سوزان) في ضيق :

- لقد شاهدنا ترحيبهم هذا الصباح .. لم تكن ننتظر أن يضربوا البغبر لقدومنا ، لكننا أيضا لم نتوقع كل هذه اللامبالاة ..

ارتبك (سوزان) قليلا بدشيرة جمالها .. ثم غمغم :

- ياد (سوزان) حين يصل أطباء جدد ، او طلبية إلى المستشفى ، فإن الممرضات يعرفن أن هؤلاء الوافدين ، هم أخطر على المرضى من أية باكتريا ، أو أى فيروس .. فلا تتوقعي أن يفرحوا بقدمكم ..

نظرت له (سوزان) وفكرت إنه على الأقل - شخص واقعي ، ولعل هذه هي ميزته الوحيدة ، بعد الانطباع السيئ الذي تركه ..

★ ★ ★

في ذات الوقت كان د (ديفيد كاولي) في غرفة العمليات ، هي اسوأ حال ممكنة - انهارت الممرضة المساعدة باكية ، وتم استدخالها - وتحمل طبيب التخدير

سيلا من السبب المنفرد - اما الجراح بمساعدة فقد دعى لصبعه بمبضع د. (كاولي) ..

كان هذا الأخير من أروع حراحي المستشفى ، وله مكتب فخم خاص به في الطابق العاشر - وعدم سير الأمور على ما يرام ، يكون الطف انحنى طرا - أما إذا لم تسر كما يشتهي ، غدا وحشا كاسرا !.

واليوم - في جراحة امرة نسي بحديثه - لم يعد به الممرضة المساعدة تطقم الادوية الخاصة به بل وصعب أدوات عامة ، من ثم أمسك (كاولي) بالنصيب منها أرضا ..

بعد ذلك ارتحفت الممرضة رحمة واحدة - ولم يكن د. (كاولي) يتمكن من ترك اعصابه ، حتى لا يذهب المبضع في وجه طبيب التخدير ..

أما السبب الرئيسي لفقدان عصبية ، فهو قيام (كاولي) نفسه باستزاع الماسك الشربسي المتوصل لشربس الممرضة ، مما جعل النماء تنفجر في توان ، وبعد ذلك حتى بعد العثور على الشربس ورطبه - وعلى بعد من فعل ذلك - لم يكن واقفا تماما ، من ثم لم يبق - أمامه سوى التمسك

لقد كان يوماً نحسنا كله ..

وبعد الجراحة دخل استراحة الأطباء الخلية ، وهو يتمتع غضباً

ذهب إلى الدولاب الخاص به ، وبعبضية ركل بابه ليفتحه

كانت النتيجة أن باب الدولاب الملاصق ، انفتح وسقطت منه بعض أشياء .. انحنى ليعيدها لمكانها .. وكان ما رآه كافياً ليثير ذهوله ..

عشرات من زجاجات الأدوية (ديميرول) .. (إينوفار) . (كورار) ، ثم منات من حقن (المورفين) و (البلاستر) ..

أعاد الأشياء التي سقطت إلى مكانها ، ثم خرج مفكرة من جيبه ، نزل عليها رقم الدولاب ٣٣٨ . وعزم على أن يعرف صاحبه ..

برغم غصبه كان يعرف معنى ما رآه ..
يعرف خطورة ذلك على المستشفى كنه .

★ ★ ★

الاثنين ٢٣ فبراير الساعة ١٠.١٥ صباحاً :

لا يوجد مكان لارتداء رداء التعقيم ، سوى في حجرة الممرضات ، لأن استراحة الأطباء تعنى الرجال فقط ..
في حنى تتفحص د. (سوزان) أريية التعقيم بالحجرة ..
كلها زرقاء اللون من النوع الخاص بالممرضات .. شعرت بالدم يتصاعد إلى رأسها ، وخرجت إلى استراحة الأطباء لتجد (بيلوز) واقفاً هناك . كن يرتدى ثيابه الداخلية وجورياً أسود اللون ، ولقد أصابه الهلع حين رآها فهرع يختفى ..

لكنها سارت في إصرار إلى أريية التعقيم وانتقت سترة وسروالا صغيري القياس ، ثم إليها غادرت المكان بنفس العصبية .

وفي غرفة الممرضات ، ارتدت ثياب التعقيم . كان السروال واسعاً عليها ، فشددت الحزام لتثبته حول خصرها الناهل ..

واستعدت لمجابهة (بيلوز) . فقد أدركت أنه من الطراز المتحفظ ، وسوف يكون مسلماً أن تهاجم فيه هذه النزعة ، ولعل هذا يضيف بعض حيوية على الدورة الجراحية ، التي ستمضيها في هذا المستشفى .



الرجل الذي كان يتردد عليه في السجن (بيلدر) وقد هلك

يرتدى لونه الداخلي وجوهرًا أسود اللون ..

نكم كان منظره مضحك ، وهو يجري مدعورًا بشابه
الداخلية ..

وحين عدت إلى اسراحة الحراحين ، وجدته ينتظرها
وكان يتنعم ..

وفي رزانه قال :

- مس (هوش) اعرف ان منطري كان مضحكاً
وعلى كل حال ، اعرف نفسي حاولت هذا الصباح اعطىكم
الطعام معيراً لحقيقتي أن طبيب مقبم مد عمين
لا كثر ، وانت وأصدقائك أول طلاب اليوم بالإشراف
عليهم ، ولا أبقى سوى ان اشدكم وأسفد منكم . وان لم
يكن فسي أفلح ستمنع بوقتها هاها

ثم انقسم من جديد ، وهر رأسه وانصرف من مامها
وثقت مشدوهة مرتبكة ، لا تدري ما تقول . ان ما فيه
جعلها تترك انها تتعب في العذبة دوماً مبرر في
انواع عيشها ان ترحع موقفها منه

ولاول مرة الدرك انه - حتى عسى مستوى المشكل - لم
يكن سيناً إلى هذا الحد .

لحقت برفقها ، وعلمها (سينر) كيف تلبس الحذاء
بورقي فوق حذائها ، ثم بهم عروا لمظففة المعقمة ، إلى
غرف العمليات ..

لم تكن (سوزان) قد دخلت غرفة عمليات من قبل ..
لهذا لك أن تتصور ما أحسسته من رهبة وإثارة ، وهي ترمى
الأطباء منحنين على أجساد المرضى ، والمرضات يدفعن
الأسرة المتحركة ، التي ينفو عليها من انتهوا من
جراحاتهم .. وطبيب تخدير يمسك بذقن مريض ويثرثر مع
المرمضة ..

وارتجفت (سوزان) ..

- حاولوا ألا تتكلموا بالداخل ..

قالها لهم (بيلوز) ، وقد وقفوا على باب الغرفة
رقم (١٨) .. وأردف :

- لقد نام المريض للأسف .. كنت أرجو أن تروه قبل
ذلك .. لا يهم . ففوا جوار الحائط ، ولا تعوقوا الحركة ..
الأسئلة بعد الجراحة ..

ودفع باب الحجرة ليدخلوا ..

ورأوا شخصا ضخما يرتدى الرداء المعقم ، يقف جوار
صور أشعة .. فرد ذراعيه بطريقة مبالغ فيها وصاح
صاحكا :

- مرحبًا بروفسير (بيلوز) !.. ميرى هؤلاء الطلبة
يدى أسرع جراح في الشرق ، فهل أخبرتهم أن ما سيرونه
هو شيء نادر ؟

أشار (بيلوز) نحو هذا العملاق وغمغم :

- (ستيوارت جونستون) أحد الثلاثة المقيمين الكبار ..
بقي له معنا أربعة شهور فقط .. لقد وعدنى أن يلتزم حدود
السلوك القويم ، فى كلامه ، لكنى لا ألقى بهذا كثيرًا !..
- فلننته من كسوة المريض سريعًا .

ووضعت الكسوة الخضراء على البطن ، كاشفة عن
مربع صغير على الجانب الأيمن منه .. ثم تم تعقيم الجلد ..
- مبضع ..

واستقر المبضع فى الكف المغطى بقطار .. وبهدوء
قرب النصل من الجلد .. عبون الطلبة ترمى المشهد
بفضول عات ..

نظر (جونستون) إلى طبيب التخدير ، يسأله إن كان
يستطيع البدء .. فهز الأخير رأسه ، وفى هدوء وبشوق
سريع ناعم اندفع النصل فوق الأنسجة بزاوية ٤٥ درجة ،
وانتشرت الدماء .. ثم انحسرت وانتهت ..

وهنا حدث شيء غريب فى ذهن (نايلز) ..

تسرب المبضع إلى خلايا عقله . واحتشدت الدماء
فيه .. ثم غاب عن الوعي ، ليصطدم رأسه بالأرض الصلبة
المصنوعة من (الفيثيل) ..

نظر (جونستون) إلى المشهد فى غضب .. ثم صاح :

هلا، خرجت هؤلاء الصبية من هالبا (بيور) التي أن
يعتادوا رؤية الدماء؟!

وانت انت الممرضة، لتضع كرسولة من ابوشندر تحت
الف (حورج)، شعاع عسيه، ونوهة تدبر أين هو ثم
ثمهم وانعز ه حرج شديد من هذا تضعف لدى الغيرة
- كان عليك ان تحترسي يا (سنور) ان كان سيكون
الموقف لو سقط هذا الصبي فوق الحرج المفلوح!
ثم يرد (يلور) ساعدا (حورج) على النهوض على
قدمه، وأشار بفور لمجموعة كي تنع، خارجين من
غرفة العمليات..

ومن وراء دهورهم، سمعوا (جوسون) تصرخ في
مساعده:

- هل انت هال لتعافسي ام تريد مد عني ١٢

★ ★ ★

لاثنين ٢٣ فبراير الساعة ١١.١٥ صباحا.

كان الحرج في كبرياء (حورج شيلز) دامين، أكثر بكثير
من السنوه الصغير الذي يكون في موحرة راسه.
لقد كان تأثير الحادث سببا على الجميع (يلور)
بمثل نفسه عما إذا، كان قد تسرع بادخال الطنبية غرفة
العمليات (شيلز) بمثل نفسه عما إذا كان سيفقد وعيه
كلما رأى حراحة (سوزان) هالها ذلك التبدل الدرامي
- ١٨٠ درجة - في سنوك (جوسون) و (يلور)
كلاهما كان مرحاً ونوراً، ثم صار فتاً بمجرد حدوث شيء
ذو - ودعم هذا فكرتها السابقة عن نفس الحراحة
وانانيتهم..

بثبهم العذبة جلسوا يرشفون القهوة في استراحة
الحرجين. كنت قهوة حيدة احبت (سوزان) عيشها،
لولا دخان التبغ المبعث من (والتر)، الذي وقف حوار
الحوصل يسعل ويرمق (سوزان)، ذكرها منظره باحبت
(التوتردام) ولم تشعر بارتياح تجاهه
ثم دعاهم د (يلور) ليحققوا به الى العناية المركزة.

تبعه الطلبة كالدمى المتحركة متلاصقين ، كى يشعروا
بالأمان والثقة .. ، إذ بمجرد أن اجتازوا الباب ، شعروا
بأنهم معزولون عن العالم الخارجى ، فى عالم صامت
خافت الإضاءة ..

وظهرت ممرضة شقراء ، يبدو عليها الدكاء منادية
(بيلوز) :

- لقد أصيب (وينسون) بضربات بطينية غير ناضجة ..
وأرى أنه لا بد من تعليق (ليدو كايين) ، لكن (دانيل)
بالطبع لم يتخذ قرارا بهذا الصدد .

نظر (بيلوز) إلى رسم القلب ، وغمغم :

- نعم .. فعلاً يحتاج (ليدو كايين) ..

- أنا قلت ذلك سأقوم بإعطاء ٢ مجم فى الدقيقة فى

٥٥٥ سم مكعب من (الكستروز) ..

كان المكان غريباً باضاعته الخافتة ، وأصواته
الصناعية الميكانيكية ، وصوت نبضات جهاز تسجيل
ضربات القلب ، وفحيح أجهزة التنفس الصناعى ..

كان المرضى فى فجوات متصلة بالحجرة ، على أسرة
عالية ذات حواجز جانبية ، وزجاجات العقاقير معلقة إلى
جوارهم تتصل بعروقهم ..

وكان بعضهم لا يكاد يبين وراء الضمادات الملتهبة حوله
كالمومياء ..

والبعض كان يقظاً تعكس عيناه تلك الخوف ، والخيط
الواهن الذى يفصله عن الجنون المطبق ..

شعرت (سوزان) بأنها تتضاؤل ، إذ ترمى هذه الذبذبات
على شاشات (المونيتور) ، وكل هذه الأسماء على
زجاجات العقاقير ، التى لا تفهم منها حرفاً ..

وزاد الأمر سوءاً ، شعورها بالفارق بين جهلها التام ،
وكفاءة الممرضة الواضحة ، وتلك الطريقة التلقائية
المنفتحة ، التى تحدثت بها تلك الأخيرة مع د. (بيلوز) ..
الطريقة التى تخالف كل ما كانت تحسبه ، عن علاقة
الطبيب بالمرضات .. ودنت من (بيلوز) إذ جلس على
مكتبه ..

كان الدوسيه الذى يحمله د. (بيلوز) يحمل اسم (نانسى
جرينلى) ..

وهنا دخل (دانيل كارترايت) القاعة .. كان طبيباً
ضئيل الجسد غير مهتم الثياب .. ذقنه غير حلقة وله
شارب كث ورأس أميل للصلع .. وهو رجل ودود بسيط ..

- سيحدثنا د. (كارترايت) عن حالة (نانسى
جرينلى) ..

بطريقة آلية قال (كارترايت) :

- هي آداة في الثالثة والعشرين من العمر
الطبي سليم تمامًا ..

دعنا نعطى لإجراء توسيع وكحت
عددهم سحراحة روسية مما في آداة لجراحة عدت
من مصدات محسنة ، ودخلت في غيبوبة حلتها
مسفرة وورسها لم ينس كد معدن البور وصفط الدم
والتحليلات الإلكترونية ..

همست (سوزان) : وعلى وجهها تعبير لم يره أحد في
الضوء المعتم :

- ثلاثة وعشرون ؟

بغداد هي نفسها في الثالثة والعشرين من العمر

قال (بيلوز) شاردا الذهن :

- ثلاثة وعشرون أربعة وعشرون ، لا فرق

لكن كان هذا هماً (سوزان) وتساءل

- أين هي ؟

- في الركن هناك ..

مررت عندها على الحسد المسحى بلا حزن في
نظر من لم يستطع أن يعبر سوى شعر ذاك ، ووجه
شعب ، يخرج من قمة خرطوم طويل ، ينصل بآلة تصدر

فحيخا ، وفي ذراعها الأيسر كان هناك خط أنبوب وردي
وثمة أنبوب بلاستيكي ، يسحدر من فرش إلى كيس منىء
بالبول .. أنشئ في الثالثة والعشرين - نفس عمرها - رافدة
بلا حراك ، ولا دليل على الحناد سوى هذا الفحاح

- منذ متى هي في غيبوبة ؟

نظر لها (بيلوز) في ضيق ، فقد كان مهتماً في شرح
دور الصوديوم في الدورة الدموية ، حين سبته هذا
السؤال :

- منذ ثمانية أيام . ومن قضيت ركزي على الموضوع

يا (سوزان) ..

كان مهتماً بجعلهم يفهمون حساب النسوان الدحة
والخارجة ، لكن (سوزان) كانت تسأل

- لماذا أصبحت في غيبوبة ؟

نظر إلى القلم في يده .. وغغم :

- لا نعرف قصاء وقد كنت بحير حال ، ونم

التخدير على أكمل وجه ، لكنها لم يبق منه نوع ما من
نقص إمداد المخ بالأكسجين ولا هموا نر باقي
الحالات ..

- وهل هو يحدث كثيراً ؟

٥١ .. تعدين الغيبوبة ؟ نادرة جدًا .. حاسة من كل مائة ألف .

ونظر لها في حيرة . إن العنصر الإنساني في حالة (نانسى) ، قد تلاشى تمامًا بالنسبة له .. كان كل ما يعنيه هو إبقاء أيونات دمها كما يفترض أن تكون . وأن يحافظ على الدرار بولها . وبساطة لم يكن راغبًا في أن تموت (نانسى) في أثناء عمله بالقسم ، حتى لا يواجه له د . (ستارك) اللوم ..

لم يكن قاسيًا . لكن لم يكن لديه الوقت كي يكون حنونًا

- والآن نواصل كلامنا عن حمام السوائل . لكنها كانت مع (نانسى) .. عينيها غير المفتحين تمامًا ، الكاشفتين عن حدقتين زرقاوين . وشففتيها المفرجتين قليلًا ، وعلى أسنانها بقعة بنية اللون من دم متجمد .

أحست (سوزان) بالدوار . وأمسكت بيدها يد (نانسى) كانت باردة كشح ، ولولا خففت قلبها الظاهرة على الشاشة خلفها ، لحسبتها ميتة .

سأل أحد الطلاب (بيلوز) :

- لماذا لم تحر لها عملية شق قصبة هوائية ؟

نظر له (بيلوز) هنيهة ثم قال :

- سؤال جيد جدًا يا مستر (فيرويزر) ..

واستدار نحو (كارترايت) :

- لماذا لم تفعل يا (كارترايت) ؟

بلغ هذا الأخير ريقه ، وشرع يتأمل سجل المريضة الطبي ، رغم علمه أن الإجابة ليست هناك .. فقال (بيلوز) في فتور :

- سؤال جيد جدًا . وأن طلبت ذلك من (كارترايت) ، لكنه لم يفعل ، ولم يستدع من يقوم له بهذا العمل . أليس كذلك يا (كارترايت) ؟

- بلى هذا صحيح .. أبلغتهم فلم يحضروا ..

- وأنت لم تتابع الموضوع . افعل ذلك حالًا . الحق يا مستر (فيرويزر) ، إن الفتاة لن تفلق من غيبوبتها ، لهذا نحتاج إلى شق القصبة الهوائية ، لأن الأنبوب المثبت في حنجرتها ، سيودي - مع طول المدة - إلى موت أنسجة قصبتها الهوائية ..

ثم قال وقد تذكر شيئًا :

- (كارترايت) . أريد أحد أطباء الأعصاب كي يراه . فإذا لم تبد أية استجابة ، يمكننا أخذ كليتيها .. - كليتين ؟

قالت (سوزان) في فزع ، عالمة معنى هذا بالنسبة لـ (نانسى) ..

- هي حبة مسوس مبيد لكن كليتها - بعد موافقة
 امرئها - ستكون - في مفع لمريض اخر . ان بعضهم
 يحسن من العسوة . لكن هذه ليست القاعدة . لقد مات
 امح - ولا مصل لعودته للحياة . او زرع مخ اخر ..
- ولماذا حدث هذا ؟

- لقد كنت حة طفلة وتحذيرها تم على يدي أدنى
 شئت بحسب عصب وقت روجعت كن حظوة قم بها ..
 ونسجته لا تقدر ربح كس عدها حساسية معينة
 لمحذر المسحدم اسسجة هي انها اذن توباء* ويجب
 ان يقوم بها بشئ شيء نحفظ توارث السوائل
 و... والاساب . وسنظم لرحه حرارتها ونؤكد من عدم
 تمسكها بالهبات رموى . وهي الطريقة المفضلة لدى
 محصين العسوة في بلادنا عالم واحبانا انماهل :
 لماذا يدحج الاشهاب الرموى ؟ لماذا أطير عذابهم ؟
 لكننا لا نعال هذه المسبة في الطب مدام هناك التهاب
 رموى . وسنمك المصحات الحيوية . فلا مجال للتباطؤ ..
 هذا في صوت عنى جهر لاتصال ينادى
- د. (هويلر) .. في ٩٣٨ من فضلك ا..

* استعملت هذه المسبة - دالة على هذا النوع من وفاء شجاع

أصاب الذهول (سوران) هل هذا اساء لها ؟
 ولماذا يناديها بلقب (مكتورة) ..
 قال (هيلوز) في بساطة :
 - أعطيت الممرضة قائمة بسميتكم . لاستعملها في
 النداء ..

- سيكون غريبا ان تعود على لقب (مكتورة)
 - ليس المقصود مجاملتك بل ان يكون كسب ثقة
 المرضى . لا ينبغي أن تخفى انك صديقه لكن لا تعلمي ذلك
 أيضا ، بعض المرضى لن يسمحوا لك بتمسكهم لو عرفوا
 ذلك ، وسيصرخون شاكين من انهم يدمون خيرا ان
 تجارب ..

ونظر إلى ساعته .. وأردف :

- هيا اذهبي لتلبى الطب وسعدك تحديث في الطابق
 العاشر ..

مشيت (سوران) ببطة إلى المكتب الرئيسي . وطلعت
 رقم ٩٣٨ ..

أخذ (هيلوز) يرمقها في تامل وهي تعبر العروبة
 وأدرك - في هلع - أن اعجابه بها يرايد أكثر
 وأكثر ..

الاثنين ٢٣ فبراير الساعة ١١.٤٠ صباحاً :

يا له من شعور عجيب !..

البدء نسمعه (سوزان) وهي ترتدى المصطب الأبيض ،
فدنه بعدم غير واعى ، تمثل فيه دور طبية كل شيء
كان درامياً مبهرًا ..

(قالت لها الممرضة فى الهاتف :

- نحتاج إلى تركب حظ وريدى لمريض ، على وجه
السرعة ، وقيل ان يباشر طبيب التخدير عمله .
تست (سوزان) السلك بين أصابعها

- متى تريدون ذلك ؟..

- الآن !

حرجب (سوزان) من العصابة المركزة ، والقلق ينتابها ،
لما هي مقدمة عليه . فهي لم تعط حقناً وريدة قبل اليوم ..
كانت تعرف سلباً ما يسبب عمله . فقط تضرب الإبرة فى
الجلد ، وتخرق الموردون ان تنقبه الصابونية ها ، هي
أن يكون العرق رشحاً كخيط المكرومة (الإسباجتى)
وتجوفه أدنى من ذلك . برغم انه عمل هين ، إلا أنها
أدركت به حد عسر به . ولسوف يظهر بوصوح أنها

جديدة على النعبة ، ولربما ثار المربص وطلب طبيباً
حقيقاً .. كما أنها لا تقبل أى تهكم من أولئك الممرضات .
وصلت أخيراً إلى الطابق الخامس ، فاولتها ممرضة
نضع على قبعتها شريطاً برتقالياً ، صينية عليها زجاجة
سائل وريدى .. وقالت :

- الاسم (بيرمان) .. إنه فى (٥٠٣) ..

اتجهت (سوزان) إلى الغرفة ، حاملة الصينية ، عليها
عصوات من الكحول ورباط مطاطى وبعض الإبر
(كانيولا) ..

ترددت أمام الباب ، هل تفرعه ام تدخل مباشرة . ثم
إنها قرعت الباب ، فدعاه من بالداخل كي تدلف . كانت
تتمنى أن ترى عذوزاً منهكاً ، أو مريض متهاكاً ،
لا يلاحظ ما يحدث له ، لكنه - للأسف - كان شاباً فى
صحة ممتازة . وجهه رقيق يشف عن نكد ، ولونه
برونزى ومظهره رياضى ..

- لا تخجلنى .. اخلنى على الفور ..

ثم نظر إلى الصينية التى تحملها . وتساءل فى قلق

- لا .. ليس حقنة أخرى !

قالت (سوزان) متظهرة بالبرود :

- أخشى أنها كذلك ..

ثم عثقت راحة (إيكستور) على الحامل ، وأوصلت
بها جهر لمحيور ، سحرج بعض قطرات السائل ، قبل أن
تثبت الإبرة على طرفه ، ثم رفعت عينها نحو (بيرمان) ،
لتجده يرمقه في اهتمام وثيق سألها

- هل أنت طبيبة ؟

نظرت له وصمتت هي لم تكن طبيبة .. هذا واضح ،
ولكن تستطيع أن ترغم العنفس ، حتى لو أرادت ..

قالت له بوضوح :

- كلا .. أنا طالبة طب ..

فرك يديه في عصبية وغمغم :

- كل ما حدث ، هو أنك لا تبدين لي كطبيبة ..

لم تدر أنها مدام م إسفاد وأصلت عملها ،
فوصفت سور التصعب حول معصمه وشدته حتى تنظر
العروى ثم إنها حرجت قطعة قطن مبننة بالكحول ..

قال (بيرمان) في عصبية :

- يجب أن أحرف لك بالنسبة الحق ..

كيف لو عرف أنها المرة الأولى لها ؟

غرمب الإبرة في يده ، نكر جنده قووم الوخزة ..

سمعته يتأوه .. فقالت :

- مسر (بيرمان) اتوقع منك تعاونا أكثر ..

قال (بيرمان) في حنق :

- دعونا .. اب مسسليم كخروف الاصحية !

شبت سور (الحنق) حنقه بالآبرة وشعرت بها
تخترق التوريد وإذا به يتم يملا الخرطوم البلاستيكي .

ففتحت صمام المحلول ..

وتنفس كلاهما الصعداء .

واجمت (سوران) وكسها اهت حراحة مخ بارعة ..
وبهذوء شبت الإبرة على ذراعه بانشرط اللاصق ..

قال (بيرمان) ، وقد بدا أنه بحاجة إلى أي حديث يسري
عنه :

- اب مهندس معماري ، خريج (كامبردج) .. أنا
لا أحشى الجراحة لكني أحشى الانتظار المولم . الكل هنا
بمصرف ماسلوب عمى داف فلماذا احترت هذه المهنة
الجافة ، برغم أنوثتك الوافرة ؟

لم يكن ثمة داع سفاش حول المعنى الصحيح للأنوثة .
شس الوقت ملائما لهذا قبل الجراحة . ولهذا قالت

- بظت بعطيتي لأمس لاجتماعي الذي أحياج إليه .

ثم أردفت بلهجة ذات معنى :

- بكه في الواقع يشعرتني بأنني معرولة عن المجتمع

أشار (بيرمان) إلى ركبته اليمنى وقال :

- يسعدني أن أعرف عت أكثر ، بعد أن تنتهي مشكلة



— مسر (برمان) انفع من دعوى كثر من (برمان) فى حق
— تعاوننا ؟.. أنا مستسلم كحروف الأضحية !..

ركبتى هذه . لقد أصيبت منذ سنوات فى أثناء لعبى كرة
القدم .. وغدت نقطة ضعفى من حينها .
وهنا دق الباب .. ودخلت الممرضة ، فهتف (برمان)
فى ذعر :

— يا الهى !.. لا أريد حقنا أخرى !
بجفاء قالت الممرضة :

— هيا .. لا بد من أدوية ما قبل الجراحة .. نم على جانبك ..
طاوعها (برمان) فى شيء من الحياء لوجود
(سوزان) ، فقامت الممرضة بحقه فى إتيته اليسرى
بسرعة وكفاءة ، ثم انصرفت كدهشى ..

قالت (سوزان) وهى تتبعها خارجة من الغرفة :
— سأتركك الآن .. وسأمر عليك قبل أن تغادر المستشفى ..
— وهنا دخل ممرض يدفع سريرًا متحركًا ، ليأخذ
(برمان) إلى حجرة العمليات رقم (٨) .
نظرت له (سوزان) باسمه ، وتمنت له حسن الحظ
فبادلها التحية ..

ولم تنكر (سوزان) أنه إنسان جذاب ، وله سحر دافئ
لابأس به ..

إن مهنة الطب ستكون صعبة من كفة الوجوه ..
هكذا قالت لنفسها . ولم تكن مخطئة ..

الأثنين ٢٣ فبراير الساعة ١٥.١٢

إنها الآن جعة قصفت (أسوست) التي تدونهما
في الصباح ، لا تعتبران وجبة ..
الموصى بسود الطبق لحامس ، في وقت توزع وحبات
المرضى ..

الممرضة ذات الشريط البرتقالي تبسم له (سوران)
ابسمامة حاتلة ، وشكرها على تركب الخط الوريدى ،
فتشعر (سوزان) بالرضا والفخر ..

قررت النزول على السلم اعلى المصعد إلى العتبة
المركزة ، بدلاً من استعمال المصعد المزدحم وعند
الطابق الثاني ، رأت الدافئة المكتوب عليها بـ صوح ، قسم
العمليات - ممنوع الدخول ..

لم يكن ثمة داع للامعة ، ولأن الباب كان مغلقاً من
الداخل ، ولا يمكن فتحه من خارجها ، نهضت السلم
إلى الطابق السفلى ، ثم استقلت المصعد إلى الطابق
الثاني ، عند مدخل العناية المركزة ..

في ثقل دثقت الباب ، سحرت دثت الدائم السليل ،
باصابعه الحافية لكبيه ، واصوات تهسيس من دث

السفلى كنت ، نسى ، هك فتاة تملك احلاما
وأصحاباً وقد ولى كل هذا إلى الأبد ، بسبب عدم النظام
في الدورة الشهرية ..

عذرت انفس تحلق تركب المصعد إلى الطابق
العاشر ، حيث احبرها (سوزان) ان زملاءها سيكونون
هذا نطق بحرف فـ رصيته مكسوة بالسجاد ،
وحوائطه سمع بدهن حديد مصقول ، عليها صور لكبار
الأطباء ..

وفي نهاية الممر ، أت مكب د (ستارك) رئيس قسم
الجراحة ، وإلى حواره باب مفعوج ، يكشف عن قاعة
منظمة ، وعلى الباب لافتة تقول : قاعة الاجتماعات ،
دثت إلى الدفعة المنظمة ، واستطرت حتى العادات
عيناها الظلام ..

الضوء ، لوحد كان سبغت من شاشة عرض ، حوارها
بعبارة رحن مميت ومؤثر ، ويشرح تتحدثين شيئا ما
أنك ، سمورة المعروضة ، هي قطاع
ميكرومكوبى من رنة ..

في الضوء الخافت تبينت رءوس زملائها ، الحالسين
إلى حوار (سوزان) ، رأتهم تركوا لها مقعداً شاغراً ،
فذهبت لتتبوأه ..

وسمعت (بيلوز) يميل عليها هامسا :
- كل هذا الوقت لتتركيب محلول ؟ .. كنت كنت تجريين
جراحة مخ وأعصاب ..
فالت في جدية :

- لقد كنت أكشف على (روبرت ردفورد) نفسه (*) ..
هز (بيلوز) رأسه وضحك :
- غير معقول .. إنك .
وهنا توقف .. وقد أدرك أن المحاضر كان يوجه له
سوالا ، كل ما سمعه منه هو : والان يحدثنا . (بيلوز) عن
هذه النقطة ١ ، . أية نقطة ؟ .

لهذا هتف في توتر :
- معذرة د (ستارك) لكنني لم أسمع السؤال ..
- أقول هل ظهرت عليها أعراض التهاب رئوي ؟
وعلى الشاشة كانت صورة أشعة كبيرة لرئتين . انحنى
أحد الأطباء خلف (بيلوز) ليهمس في أذنه :
- يتكلم عن (ناسي) أيها الأحمق !
النقط (بيلوز) الخط ، فوقف ليقول :

(*) ممثل أمريكي ، سيم أشهر بتعليق (كرجال الرئيس) و (الحصان
الكهربائي) و (حافيه على المسطح) و (سورن) يعنى هنا طبعا ان
(بيرمان) كان شديد الوسامة ..

- كانت حرارتها مرتفعة يا سيدى ، لكن لا توجد
أعراض صدرية ، وصورة الاشعة عادية .. كان البول
يحوى بعض البكتيريا ، لهذا نعتقد أن التهاب المثانة هو
سبب ارتفاع حرارتها ..

قال د . (ستارك) ووجهه ما زال فى الظلام .
- هل ستستعمل هذا للضمير إذن ؟
- أى ضمير يا سيدى ؟
- ألا تعرف الضمائر يا (بيلوز) ؟
ارتفعت ضحكات متناثرة فى القاعة . فقال (بيلوز)
بارتباك :

- أعرفها يا سيدى ..
- هذا أفضل .. لقد سمعت سماع كل طبيب يستعمل
ضمائر (نحن) و (نا) . إلخ عندما يتكلم أنا أسألك
عن (رأيك) أنت ، وليس (رأيكم) .. إنه قرار فرد .
ورأى فرد .. وأريد ممن يكون جراحا فى قسمي ، أن يجرؤ
على قول (أنا) ..

وهنا قطع كلامه وميض أحمر متقطع على الحائط
الجانبى ، وظهرت عبارة على شاشة جانبية تقول :
« مكتبة قلبية بوحدة العناية المركزة » ..

الطق (بيروز) سبة ووشب من مكره مدمما

- أوف !.. يا للحظ السيئ ! ..

ثم اندفع كثر صاصة من بفاعه وحفه (كرترايت) .

تردبت (سوزان) ورثتها لحصة ثم دفعوا لاحقين

- (بيروز) ..

اما د (ستارك) فواصل محاسره كال شيب

لم يحدث ..

★ ★ ★

الاثنين ٢٣ فبراير الساعة ١٢.١٦ بعد الظهر :

لم يكن (بيرمان) يفقه شيا عن الطب

بل هو لم يحاول معرفة شيء عن مرضه وعلاجه . كان

يخاف المرض ويربط بينه وبين الطب في سلة واحدة .

فلا يفهم أنهما نقيضان . وكنت امعاوه تنقص . كلما

تخيل أن نصل الموضع سيمر في حسده

بذكر حينها لحظة ان دخل المستشفى . ليقول لموظفة

الاستقبال :

- اسمي (شون بيرمان) ..

كان وجهها مغطى بتمساحين أكثر من اللازم . ولاحظ

طلاء أظفارها الأسود الغريب . وهي الحب صفحت بملف

وتساءل في سره . كيف لم ينامها أحد على هذا الطلاء

الغريب .. وسمعها تقول :

- لا يوجد لك ملف هنا . انتظر حتى الفرع من هؤلاء

المرضى ..

وبرغم أنه تعطل ساعة كسبة . وساعة منها في قسم

الأشعة . فإنه لم يسقط بل احس برضا لأن هذه

المشاكل الصغيرة . تصرف تفكيره عن الجراحة التي هو

مقبل عليها ..

وهي عرقته حلس ينتظر ، كمنحكوم عليه بالإعدام ..
 وكانت زيارة (سوزان) العائرة له ، كسجم في سماء ملبدة
 بالغيوم . اعطته الأمل في الحياة ، وأدرك أنه لن يموت ..
 مستحيل أن يموت وهو شاب وبكامل عافيته ..
 وساعدت الحفلة التي أعطته أياها الممرضة ، على أن
 يتفصل عن كل شيء حوله ، وأن يشعر بروح المرح .. ولم
 بعد الزمن ذا أهمية بالنسبة له ..

وفي غرفة العميات ، وفقت الممرضة (بيني أوريللي)
 نرسب الادوات الجراحية ، على حامل (مايو) ، أما الممرضة
 (ماري أبروري) ، فقد أعدت الرباط الخاص بقياس ضغط
 الدم ..

وكان د (جودمان) طبيب التخدير ، يخرج فقائيع
 الشهواء من جهاز المحاليل ، وكان يشعر بالرضا ، لأن
 المريض شاب قوى ، والجراح د (سبليت) من أمهر
 جراحى العظام بالمستشفى . وبالنسبة لـ (جودمان) كل هذا قبيل
 الواحدة ظهراً ..

- سبت يا ماري (حضار ابوب القصبه الهوائية .
 هلا ذهبت وأحضرت قياس (٨) ؟
 - حالا ..

وقام بتوصيل الأسايب ، إلى أسايب (أكسيد النتروز)
 و (الأكسجين) المركزية في الحائط ..
 إن (بيرمان) هو الحالة الرابعة والأخيرة لهذا اليوم ،
 لقد كانت هناك حصة صعبة نوعاً من الحالات الثلاث التي
 قام (جودمان) بتخديرها اليوم . امرأة تزن ٢٦٧ رطلاً ،
 وتعانى من حصوات مرارية ، وكان (جودمان) يخشى ، أن
 تمتص دهونها ، كميات كبرى من عقار التخدير ، مما يؤدي
 إلى صعوبة إبقائها لكن هذا لم يحدث ..

الحالة الرابعة - حصة (بيرمان) - هي حالة تمزق في
 الغضروف الهمالي بالركبة . ياله من مثل ! .. لم يكن شيء
 قدراً على كسر الروتين بالنسبة لـ (جودمان) سوى أن
 يغير أساليب التخدير ، ليحجر نفسه على التفكير . وعلى
 ابتكار أساليب تقلل جرعات المخدر ..

كان المريض قد وصل ، ونقلوه على المنضدة . فشد
 (بيرمان) الملاءة عليه ، وسام على جنبه كأنما في
 داره . أعدوه إلى ظهره . ورفعت (ماري) قسمة لتعلقها
 في حامل معدى ، وشرع (تيدكولبرت) الطبيب المساعد ،
 يعقم الركبة بمحلول مطهر ..

الضغط ١١٠ ، ٧٥ . النبض ٧٢ ومنظم .

- الآن يا مستر (بيرمان) ، أرجو أن تسترخي تماماً ..

صحتك امارى من الدعاة وهنت

- مو استرحى اكثر ، سقوص فى المنضدة !

دم د (جودمان) سعطاء المربص (دروبريدول)

و (فيسل) ثم حذ - المربص قد نام تماما ، فلا داعى

إذن لإعطائه (البنتوثال) ..

وصع انفسع الاسود على وجهه ليمده ب (أكسيد

النسور) ثم حقه - (سويو نورارين) - وهو العقار

الذى يعود نفس استعماله ، الى شعوب (الامازون) - ثم

بدأ يملا رئتيه بالهواء من الكيس ..

كل شيء على ما يرام ..

وبحركات مسرحية سعة ، فوج د (سباليك) الركبة ..

وسجلت د ع عدم روف ممرقا ، معلنا أنه هو سبب مشكلة

المريض ، لكن الممرضين لم يكونوا اثنين تماما ، مما إذا

كان هذا بطله مريض ام حسنة الجراح الان ..

وسرع د سبست اقدريه ، وقال لمساعدته أن يفتق

الجرح ، مسددا امعاء البق والحرير . ثم غادر

الغرفة ..

نساءل د. (جودمان) :

- كم ستستغرقى من وقت ؟

- ربع الى ثلث ساعة ..

وهنا ارتفع ضغط الدم قليلا ، مما دعا (جودمان) الى

زيادة جرعة عقار (اينوفار) وريديا ، وفيما بعد اعترف

أن ذلك ربما كان خطأ من جانبه ، لربما كان استعمال

(الفنتانيل) أكثر صوابا ..

لكن ضغط الدم استقر .. فعاد الجراح بعمل .. وعادت

(مارى) الى ركن الغرفة ، تمسك بمذراع صغير ، تنبهت

منه موسيقا (الروك) ، وتلوك لبانة ..

وفجأة ظهر على الشاشة انقباض بطينى غير ناضج ..

ثم توقف القلب هنيئة . توتر (جودمان) ، وزاد من تدفق

الأكسجين ، ليغسل (أكسيد النتروز) من دم المريض ..

(كولبرت) يطلب المزيد من الفرز للخياطة ..

دقتان أخريان غير طبيعيتين .. وهذه المرة قلل

د. (جودمان) سريان الأكسجين ، عله هو سبب حساسية

عضلة القلب ، ولقد أقر فيما بعد أن هذا قد يكون خطأ آخر ..

وفجأة ازداد عدد الضربات الغريبة ، وكاد (جودمان)

يصاب بسكتة قلبية هو قبل المريض .. ثمة شيء خطأ ..

ضغط الدم ينخفض الى ٥٥/٨٠ دونما سبب ..

أصاب الهلع (جودمان) فى مقتل ، وعجز تماما عن

فهم ما يحدث .. الصورة على الشاشة تحولت الى نوع من

الشخبطة ، التى لا تفسر لها سوى خطورة الموقف ..

- ماذا يحدث عندك بحق السماء ؟

قلها د (كولبرت) وهو يرفع رأسه

لم يجب (جودمان) . بهستيريا صرخ في الممرضة :

- ليدوكاين !!

حاول انتزاع غطاء المحقن بيده المرتجفة ، دون

جدوى . فسب وقذف المحقن في الأرض ، ثم عرى محقنا

آخر ، وحاول أن يملأه ب (الليدوكاين) ، لكن يديه

ارتجفتا ، فلم يستطع أن يسحب العقار في المحقن . بل إنه

جرح إصبعه بالإبرة ..

- أسرع .. إن قلب هذا الرجل سيتوقف !

أخيرا ، وبعد لآي . استطاع (جودمان) أن يملأ المحقن

بـ (ليدوكاين) وجاهد - وهو يرتجف - كي يحققها في

الحافظة المطاطية لجهاز المحلول ، وفجأة . عاد القلب

يخفق بسرعه العادية المنتظمة ..

فأس ضغط الدم ، وهو لا يصدق عينيه فوحده قد

صار ٦٠/١٠٠ . كما عاد النبض ٧٢ في الدقيقة .

العرق يتساقط من جيبه على سجل التخدير ..

سأله د. (كولبرت) :

- ماذا حدث ؟

- لا أدري . أنته سريعا ، لأنني أريد إيقاظ هذا الرجل ..

انتهى الجراح من الفرز ، وبدأ في التجبيس على حين
حاول (جودمان) أن يدفع بالهواء إلى رئتي (بيرمان)
كي يتنفس تلقائيا ..

لكن سدى . لم تكن هناك أية محاولة تنفس ..

تساءل (جودمان) في قلق ، عما عساه تكون

انعكاسات الحدقة . ففتح الجفن وجذبه لأعلى ..

وهنا لاحظ شيئا مروعاً ..

إن (الفتانيل) - شأنه شأن عقاقير التخدير كلها -

يعمل على تضيق إنسان العين ، لكن إنسان عين (بيرمان)

كان متسفا للغاية ..

أمسك (جودمان) البطارية وركز الشعاع على

الحدقة ، فلم تحدث أية استجابة .. الحدقة متسفة ثابتة ..

عندئذ لم يقل (جودمان) شيئا ..

رفع عينيه إلى أعلى ، والعرق يغمر جبينه .. وهمس :

- يا إلهي الرحيم ! ..

.....

★ ★ ★

الاثنين ٢٣ فبراير الساعة ١٢،٣٤ بعد الظهر :

هرولت (سوزان) ورفاقها إلى المصعد ، في حماس مبالغ فيه ، مارين بين المرصى الجالسين . كان الطيبة بهرولون ، ممسكين أقلامهم وسماعاتهم وبطارياتهم ، كما لو كانوا هم من سيقذون الحالة ، وبدأ على المرضى الرضا لهذا المشهد ، الموحى بالاستعداد التام لإنقاذ المرضى .. كان المصعد بطيئاً .. وقد أخذ (بيلوز) يضغط الزر مراراً ، كأن هذا سيعجل في قدومه .. ثم إنه صاح في نفاذ صبر :

- سنستعمل السلم ..

واندفعوا بهبطون السلم الحلزوني الطويل بلا نهاية ..

همس (فيرويزر) في أذن (سوزان) وهو ينهث .

- لماذا الجري ؟

- نحري لان (بيلوز) في المقدمة .. أريد أن أرى

ما سيحدث ، لكنني لا أريد بحال أن أكون أول الواصلين هناك !

وشرعوا يجرون خلف (بيلوز) إلى غرفة العناية المركزة ..

هذه المرة كنت العرفة مضاعة تماماً بصوء باهر وفي الركن كانت الممرضات الثلاث المعينات في الغرفة ، يقمن بعمل تدليك صدر لـ (دانسي جريلى) وعلى الشاشة رأوا جميعاً شخيرة مروعة ..

قالت الممرضة الأولى :

- كانت في حالة نذبة بطيئة منذ أربع دقائق .

دار (بيلوز) حول الفراش . ثم كوم قبضته وهوى بها على صدر المريضة ، فارتجفت (سوزان) من الصوت . لكن شيئاً لم يحدث ..

وقال (بيلوز) للممرضة :

- أتحنى (سارع التذبذب) أسرعى .

ثم نظر إلى الممرضة الأخرى امرأ :

- أمسون بيكرينات وأعدى سرجة بها ١٠ سم من

تركيز ١ : ١٠,٠٠٠ (إينفارين) ..

فقامت ممرضة بحقن اليكربونات ، وأعدت الأخرى

(الإيسفريس) فتناول منها المحقن ، ودار حول

المريضة ثم غرز الإبرة في قفصها الصدري ، وسحب

المكبس ليتأكد من أنه بالحقن ثم حقن ..

ارتجفت (سوزان) شاعرة ان هذه الإبرة تخترق قلبها

هى ..

همس (بيلوز) وهو يواصل تذليك القلب .

- سيقتلنا (ستارك) لو ماتت ..

نظرت له (سوزان) في حيرة .. لا أحد يعتبر (نانسي)
إنسانا .. بل هي لعبة معقدة يلعبونها ، وكل أهمية حياتها
هي ما ستؤثر به - سلبي أو إيجابي - على مستقبلهم
المهني . فلتعت (نانسي) ، ولكن دون أخطاء يمكن أن
يُلاموا عليها ..

إنها - (سوزان) - تعقت المستشفى .. تعقتها إلى
أقصى حد ..

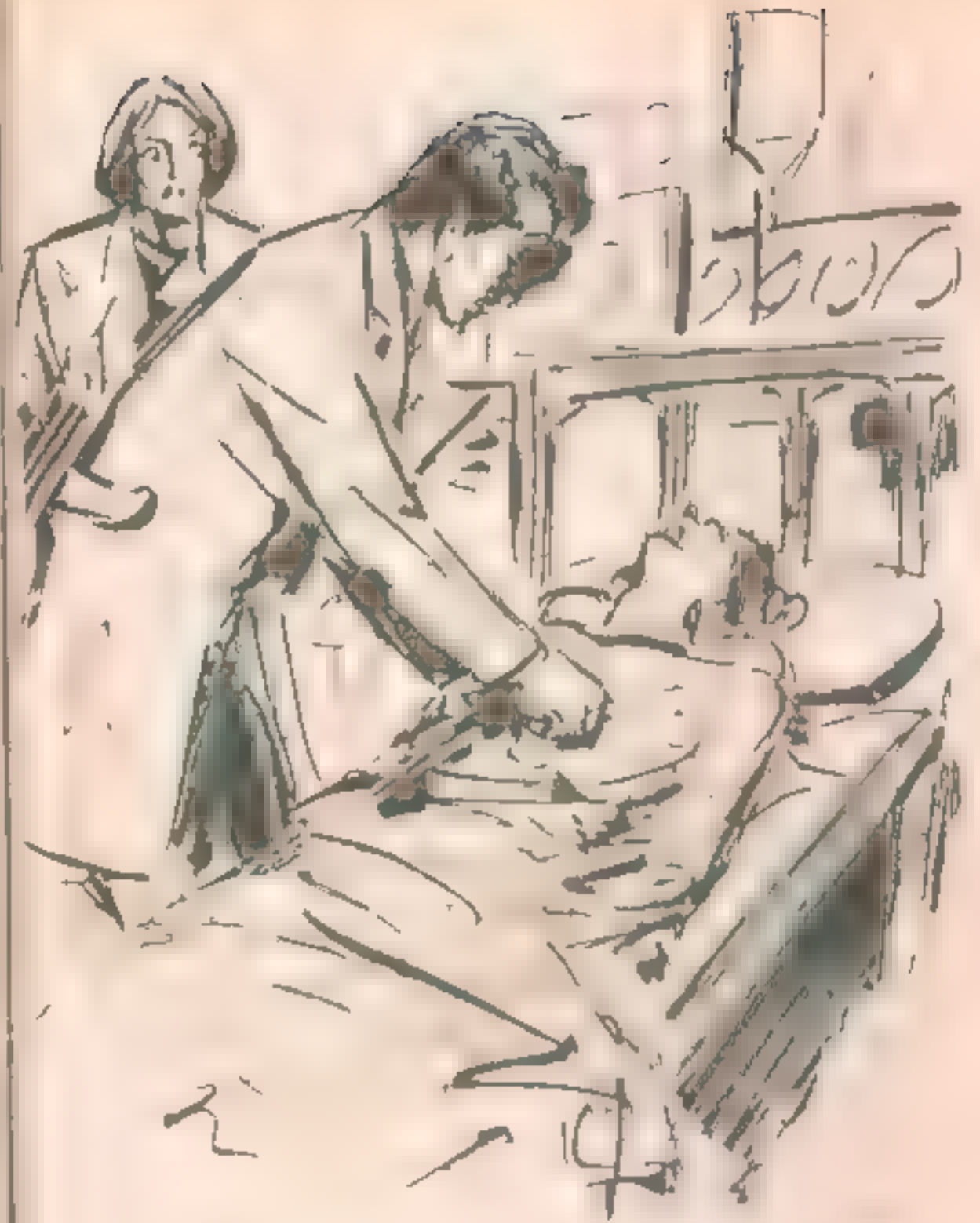
وضع (بيلوز) الأقطاب الكهربائية لـ (نازع التذبذب)
فوق صدر (نانسي) العاري ، ثم صاح الصيحة المعتادة :
- إخلاء !

فراجع الجميع للخلف .. ومرت الشحنة الكهربائية عبر
صدر (نانسي) ، فانتفض جسدها ، وتقلصت ذراعها ..
وعادت ضربات القلب العدية إلى الشاشة .. فتنفسوا
الصعداء ..

وهنا عاد الاضطراب من جديد إلى القلب ..

قالت الممرضة وهي ترمق الشاشة .

- عضلة قلبها متوترة . لا بد أن هناك خطأ ما .



درو بيلوز ، حول شرائش ثم كرم قصته وهوى يده على صدر

المريضة ..

- لو عرفت ما هو ، دعينا نعلم .. إلى بخمسين
ستيمترا من (الديدوكاين) ..

وفي الواحدة والرابع ، كانت (ناسي) قد تلقت إحدى
وعشرين صدمة كهربية ، ومدة من محاولات التدليك ،
كلها ذات أثر وقى ..

وهنا اصل المعمل ليبلغهم بتركيز (بوتاسيوم) الدم ،
الذي طلبه (بيلوز) ..

كان مستواه ٢.٨ مللى عيارى لكل لتر وهو مستوى
منخفض ..

- باللهول ! كيف انخفض إلى هذا الحد ؟

وامر الممرضة ان تعطى (ناسي) بعض
(البوتاسيوم) ثم واصل الصدمات الكهربائية والتدليك

بدأ الوضع يتحسن نوعا مع (البوتاسيوم) وهنا
سمعت (سوزان) من يناديها ، لانهم بحاجة إلى عينة من

الدم الشرياني من مريض ما ..

ولم يكن تعرف كيف تقوم بذلك ، لهذا تطوع (بيلوز)
بان يصحبها لتعلمها . حاصه وان السماء عذبت تجرى في
عروقه . بعد اسنظام صدمات قلب (ناسي) .

لقد انتهت المحنة .. مؤقتا

★ ★ ★

الاثنين ٢٣ فبراير الساعة ١.٣٥ بعد الظهر :

ان وخر الشريان يشبه وحر الوريد . فقط عليك أن
تعزلى الشريان بالإصبع الوسطى والسبابة كذا . فما أن
تشعري بالنقص حتى تغرسى الإبرة . ودعى ضغط الدم
يملا الحفنة بدلا من جنب المكبس . ان هذا يوفر عليك
ادخال فقائيع الهواء ..

قال (بيلوز) هذا ، وهو يسر مع (سوزان) إلى غرفة
الطوارئ . نتي بنت لها شبهة بالعصية المركزة ، إلا أن
إضاءتها افصل . وكان النشاط يسود المكان وسط حركة
الاطباء والممرضات ..

- سأفعل ان نعمة هدد المرة وتوليدها أنت المرة
القادمة ..

كان هناك فراش بحيط به عدد من الاشخاص ، وثمة
طبيبات في رداء التعقيم وطبيب زحى طويل مهيب ،
يقف على اليمين ، ويقوم بصسط جهر النفس . كان الحو
مكهربا بشكل غير عادي ..

الطبيب ضئيل الحجم يرتجف كالورقة ، أما الآخر فكان
بصر على اسناته في غيط الأول هو (جودمان) طبيب

التخدير . الثاني هو (سباليك) صاحب حادث الدولا ب
المكسور ، الذي حكىناه منذ قليل ..

كان د. (سباليك) يصرخ محنقا :

- لا بد من تبرير لكل هذا !

ثم نزع القناع المدنى على صدره ، ورماه أرضا ..
واندفع من الغرفة فاصطدم ب (بيلوز) حتى كاد يسقط
الصينية من يده .. لكنه لم يعتذر ، وواصل خروجه الغاضب
من الغرفة ..

تأملت (سوزان) الطبيب الزنحى فخم المظهر .
وتأملت البطاقة المثبتة على صدر معطفه الأبيض :
د. (روبرت هاريس) ..

كس طويلا . يعكس وجهه خليطا فريدا من التهذيب
والثقافة والعنف المتحضر . والتقت عيناها لحظة ، ثم
عاد بواصل عمله فى ضبط جهاز التنفس ..

ودون أن ينظر لـ (حولمان) ، سأله بلهجة
(أكسفوردية) راقية جدا :

- ماذا استعملت فى التخدير يا (حولمان) ؟

رد هذا بصوت متحشرج :

- (اينوفار) يا سيدى ..

اختلست (سوزان) نظرة إلى المريض الراقد . إلى
معصمه الذى كان (بيلوز) يعده لأخذ العينة .. ثم ..

عادت بعينها إلى وجهه .. لقد عرفت من يكون .. إنه
(بيرمان) !.. لقد تحول وجهه البرونزى الوسيم - الذى
رأته منذ ساعة ونصف لا أكثر - إلى شيء رمادى .. ومن
جانب فمه ، خرج أنبوب القصبة الهوائية ، وثمة دماء
متجمدة على شفته السفلى . وعيناه كانتا مغنقتين تماما ..

تساءلت (سوزان) بصوت مبحوح :

- هل هو على ما يرام ؟

اندھش (بيلوز) من اهتمامها ، وتوقف عن العمل
ناظرا لها .. على حين قال د. (هاريس) بلهجته المنقفة :

- هو على أفضل ما يكون لكنه لا يصحو .. هذا هو
كل شيء ..

هتف (بيلوز) وقد أدرك أن كارثة جديدة قادمة له .
- ماذا ؟ .. حالة غيبوبة أخرى ؟

تساءلت (سوزان) ، وعيناها تدوران حول الوجوه :
- مثل المريضة فى العناية المركزة ؟ مثل (نانسى) ؟
قال د. (هاريس) :

- أرجو ألا يكون كذلك لكن كل شيء يشير لهذا ..
ثم إنه نظر إلى (جودمان) ، وتأمل سجل التأخير :

- لماذا زدت حرجة (إينوفر) فى نهاية الجراحة
يا (جودمان) ؟

- كان تخديره قد تلاشى نوعاً ..

- لكن لماذا (إينوفر) ؟ " الم يكن الـ (فسانيل) أوفى ؟
تساءلت (سوزان) مقاطعة :

- ألا يمكن عمل شيء ما ؟

تذكرت وجه (بيرمان) الوسم لضاحك ، وهو يتحدث
إليها قبل الجراحة حيويته .. وتذكرت (سيسى) ..

- لقد تم عمل اللارم ، - قال (هاريس) بحزم -
استنظر أن تعود الوظائف المخية لعملها ، وإن كان من
الواضح أن المخ قد مات ، - وهى دلالة سيئة حتماً ، -

شعرت بالعبثان شعرت بالدوار بالعجز

صحت وقد فقدت كل تحكم لها فى أعصابها :

- هذا كثر جداً رجل فى صحة جيدة يشكو شكوى
تافهة ، ثم ينتهى هكذا ؟ شامان فى قل من اسوعين ؟

لماذا لا يقوم ريس قسم التخدير ، بإغلاق هذا القسم
المشبوہ ؟ .. حتماً هناك خطأ ما ..

بدأت عنا (هاريس) تضيقان وهى تنكلم - سنما ففر
(سيلور) - وه فى برود قل (هاريس)

- أيا ريس قسم التخدير يا انسة . وانت من تكويين ؟

قبل أن ترة هى ، سارع (بيلوز) بالرد :

- (سوزان هويلر) يا سيدى .. طالبة بالصف الثالث ،
وتتلقى تدريباً فى قسم الجراحة ، و أردنا فقط أخذ
عينة دم ثم نرحل فوراً ..

قل (هويلر) فى لهجة مفعمة بالكبرياء :

- مس (هويلر) .. إن أسلوبك العاطفى العلىء
بالانفعال ، لا مكان له هنا ، ولا يخدم أى غرض بناء .. لقد
تم التخدير بعناية باستثناء بعض نقاط مشكوك فيها ،
ويمكن تداركها ، لكن أن نهاجم التخدير ككل ، ونحرم
المرضى من هذا الفن السامى ، فهو أسوأ بكثير من قبول
مخاطرة بسيطة محسوبة ..

- إن حالتين فى ثمانية أيام ليستا محرد مخاطرة بسيطة ..
حاول (بيلوز) أن يخرسها دون حدوى .. على حين قال
(هاريس) :

- إن هذا الجدل يتخذ شكل تحقيق ، لا أجد من واجبه
أن أرد عليه ..

واستدار لينصرف ، فأسرعت جارية وراءه صائحة :
- لا بد من أن يقوم شخص ما بتوجيه الأسئلة ..

استدار (هاريس) ببطء شديد ، فأغلق (بيلوز) عينيه ،
كأنما يتوقع صفعه على وجهه .. وقال (هاريس) :

- لن يكون هذا الشخص طالب طب على كل حال ..

ثم واصل طريقه إلى باب الخروج . ودفعه بشدة وخرج ..
وضع (بيلوز) يده على جبهته ، وقد جف الدم من
عروقه .. ماذا تحاولين عمله أيتها الحمقاء ؟
تنتحرين ؟ .. تتحدثين بهذا الأسلوب مع رئيس قسم التخدير
الشهير بجبروته ؟

ثم إنه غرز المحقق في شريان (بيرمان) وهتف :
- يجب أن أبلغ (ستارك) بما حدث ، قبل أن يعرفه من
مصدر آخر ..

يا إلهي ! .. أنت لا تعرفين شيئا عن سياسة المستشفى ..
راقبت (سوزان) المحقق وهو يمتلئ بالدماء
الحمراء .. وهتفت :

- كان هذا هو المريض ، الذي ذهبت لأحققه وريديا منذ
ساعة ونصف . كان إنسانا لطيفا في غاية الحيوية .. بل
إنه راق لي . إن هذا لا يصدق أبدا .. ساعة ونصف !
- لا أريد أن أسمع أكثر ..

ثم ناولها المحقق ، وأمرها أن تصعه وسط الثلج .
وضغط بقوة على موضع خروج الإبرة .. واستطرد :
- أنت لا تعرفين كم من متاعب يستطيع (هاريس) أن
يسببها لي ..

- يجب أن تعترف أن هذا المعدل مرتفع لحالات موت
الدماغ ..

- هذا المستشفى يشهد مئات الجراحات يا (سوزان)
ست حالات لا تشكل كُما كبيرا ، بل يمكن قبولها كمضاعفات
 لعملية التخدير ..

- أنت قلت لنا صباح اليوم ، إن حالة (نانسي) تحدث
مرة كل مائة ألف حالة . والآن تحاول القول إن ست حالات
من خمس وعشرين ألف حالة ، هي نسبة مقبولة .. هل
تقبل أنت أن تجري جراحة تافهة ، في مستشفى تحدث فيه
هذه النسبة ؟

- أنت تضيعين وقتك .. لقد قام د. (بيلنج) بدراسة كل
صغيرة وكبيرة ، في حادث (نانسي) ، وصدقيني إنه دقيق
وخارج الذكاء . وقد قال إنه لا يوجد تفسير ..

- شكرا على تشجيعك ، لكنني سأقوم بدراسة هذه
الحالات . وسوف أبدأ من العناية المركزة ..

- حسن . لكن ليكن مفهومنا لك ، أنني لن أتدخل في
الموضوع ، مع وجود (هاريس) .. أنت حرة تماما ..

- للأسف أنت ينقصك الحماس ..

- ربما .. لكن يقصني أيضا أن أكون جراحا ..

نظرت له (سوزان) مليا .. ثم همست :

- نعم .. ولربما كانت هذه نقطة ضعفك ..

.....

الاثنين ٢٣ فبراير الساعة ٢.٤٥ بعد الظهر :

جلس (بيلوز) في قاعة المحاضرات نافذ الصبر ، وعلى بعد منه جلس الطلاب الأربعة ، يتابعون محاضرة د. (الان دروي) ، وحولهم خواء رهيب في القاعة .. لقد ظن (بيلوز) ، أن اختيار قاعة المحاضرات فكرة لا بأس بها .. لكنه الان وفي أول محاضرة ، لم يعد واثقا من ذلك ، فالقاعة كبيرة أكثر من اللازم .. وبدأ المحاضر مثيرا للسخرية ، وهو يحاضر مقاعد فارغة .

لكنهم كانوا يكتبون ما يسمعون في اهتمام - برغم أنه كلام فارغ - كعادة الطلبة في كتابة كل ما يخرج من شفهي المحاضر ، دون تفكير ولا تمييز ..
ووجد نفسه يفكر فيما سيقوله (ستارك) ، لو دخل ورأى هذا المشهد .

★ ★ ★

لقد صار (جيرالد كيلى) رئيسا لقسم صيانة العليات ، بعد كفاح طويل ، منذ كان في الخامسة عشرة من عمره .. هو رجل من أصل إيرلندي ، أشقر الشعر ، متورد البشرة ، يمتاز بكرش ضخم من فرط الشراب كل ليلة ،

وكان يتقاضى راتبا ضخما ، لأن إدارة المستشفى تعرف أنه لا غنى عنه .. وأنه الرجل الذي يعرف كل آلة من آلات هذا الصرح الطبي الضخم ، كما يعرف كفه ..

جلس (كيلى) يراجع أوامر التشغيل لهذه التوبتجية .. ومنها بالوعة حجرة الممرضات ، التي تنسذ مرة كل أسبوع .. إلخ ، وكان معه ثمانية رجال تحت إمرته ، أخذ يوزع عليهم المهام ..

كان هدير الآلات يصم الأذان ، لكنه كان معنادا عليه .. بل ويميز كل آلة وسط الضوضاء .. لهذا أثار فضوله صوت شيء معدني يطرق شيئا معدنيا آخر ، فاقفا من أعلى .. من ناحية اللوحة الكهربائية الرئيسية ..

نهض ليرى هذا الشيء . ودار كعادته حول الغلاية العملاقة ، مفتشا عن مصدر الصوت ..

وعند اللوحة الكهربائية ، رأى رجلا نحيلًا يقف هناك .. رجلا يرتدى زيا من اللون الخكى مفتوح الصدر .. وفي جيب خيلته عشرات الأقلام والمفكات الصغيرة ومسطرة .. وثمة (بادج) صغير كتب عليه (مؤسسة الأكسجين السائل) ..

هاتف (كيلى) في ذهول :

- يا إلهي .. لم أدر أن هناك أحدا هنا ..
- وأنا كذلك ..

كان الرجل النحيل يحمل أسطوانة خضراء للعاذ
المضغوط ، كتب عليها بخط واضح (أكسجين) ..
قال الرجل :

- اسمي (داريل) (جون داريل) . اسف لإفراغك ..
كنت أفحص خطوط الأكسجين المعدية للخزان الرئيسى ..
والآن أنا فى سبيلى للخروج . فهلا أخبرتنى بأقصر طريق
للخارج ؟ ..

- طبعاً . من خلال ذلك الباب المودى إلى الصالة
الرئيسية ..
- شكرًا ..

وقف (كيلي) يرمقه فى حيرة . كيف استطاع هذا
الرجل ، أن يصل إلى هنا دون أن يراه ؟ . عاد لمكتبه ،
وأخذ يقلب أوراقه . ثم تذكر شيئاً آخر أثار قلقه ..
لا توجد خطوط (أكسجين) فى غرفة انفلايات ا
يجب أن يسأل (بيتر باركر) غداً ، عن هذا العامل الذى
جاء ليفحص خطوط (أكسجين) لا وجود لها ..
بكن المشككة هى أن ذاكرة (كيلي) كانت ضعيفة ..
ضعيفة جداً

★ ★ ★

الاثنين ٢٣ فبراير الساعة ٣,٣٦ بعد الظهر :

بدأ الظلام يسود (بوسطون) ، وأضيت مصابيح
الشوارع . كانت السماء ملبدة بالغيوم ، والهواء البارد
يتسلل إلى المكتبة ، حيث جلست (سوزان) تراجع ما كتب
عن الغيبوبة ..

لقد أثارت ضخامة الموضوع رعبها .. وأذهلها تشعبه
وتفرعه بين العديد من التخصصات الطبية . على الأقل
حصرت عدداً كبيراً من المقالات العلمية ، التى تتحدث عن
الموضوع ..

كانت مستغرقة ، فلم تشعر بدخول (بيلوز) القاعة ،
ولا بجلوسه جوارها .. حتى أنه بدأ يسعل كى يجذب
انتباهها - فرفعت رأسها تنظر إليه ..

- ما هذا ؟ .. أحسبك أصبت بغيبوبة أنت الأخرى ..
نظرت له ونظر لها بضع دقائق ، ولم يقل أحدهما
شيئاً .. ثم إنها قالت وهى تتناول الصفحات التى كتبتها :
- تصور أن خمسين فى المائة فقط من حالات الغيبوبة ،
يتم تشخيصها .. والنصف الباقي يموت دون معرفة
السبب ..

ثم مننت يدها تقلب بعض الأوراق :

- يعزوين ٦٠ ٪ من الحالات إلى الكحول .. و ١٠ ٪ إلى السكتات الدماغية . و ٣ ٪ إلى السموم والعقاقير ..
والباقي مقسم ما بين الارتجاج والصرع وغيوبة السكر والالتهاب السحائي ..

- لماذا لم نحضري المحاضرة يا (سوزان) ؟

- أجننى عن سؤال واحد : هل صحا (بيرمان) أو (نانسى) من الغيبوبة ؟
- طبعا لا ..

- إذن - بصراحة - ما اقوم به هنا أكثر نفعا من حضور محاضرات ممعة

- كونى عاقلة يا (سوزان) . أنت لن تتقضى الكون فى أول أسبوع لك فى قسم الحراحة . إنك تسببين لى إحراجا شديدا بهذا الأسلوب

- اقدر ذلك .. صدقنى . لكن بحثى عن أسباب الغيبوبة ، قد فدنى كثيرا .. تصور أن نسبة حالات غيبوبة التخدير فى هذا المستشفى ، تفوق معدلها فى الولايات المتحدة كلها مئة مرة ؟

أشعر اننا بصدد اكتشاف مرض جديد .. أو اكتشاف أن تزاوج عقارين له نتائج قاتلة ..

وأردفت ضاحكة :

- سأصير شهيرة .. أنت تعرف أن مكتشفى الأمراض ، يصبحون أشهر مائة مرة ، من مكتشفى علاجها ..
وضع (بيلور) يديه على رأسه صانحا :

- (سوزان) .. أنت مازلت ساذجة ، ولا تقدرين المسئوليات . أنا سأعطيك الحق فى التغيب يوما آخر ، لاستكمال مشروعك .. لكن إذا احتجت إليك ، فسأطلبك باسم د . (هويلر) .. وعليك أن تردى .. هل هذا واضح ؟

- ليكن .. لكنى بحاجة إلى نسخ مصورة من هذه المقالات .. هاك أسماؤها ..

وقفرت فارة من المكان ، قبل ان يستطيع الاعتراض .. فوجد نفسه يحدق فى بلاهة ، فى قائمة من سبعة وثلاثين مقالا .. نهض واحضر المجلات وبدأ يدس قصاصات ورقية عند موضع كل مقال . ثم طلب من الفتاة المختصة أن تصور له نسخا على حسابه ، من هذه المقالات .

وأدرك أن (سوزان) قد أحسست استغلاله .

لكنه كان ضعيفا أمامها بالفعل ..

واعترف لنفسه بذلك ..

★ ★ ★

الاثنين ٢٣ فبراير الساعة ٥ عصرا :

كان على (سوزان) الانحاء لقسم (الكمبيوتر) ،
لمعرفة عدد حالات الغسوة بعد التخدير في مستشفى
(بوسطن) ..

أخذت المصعد إلى الطابق الحادي عشر ، ودخلت غرفة
الاستقبال ، وتولت طلب بينات ، وجلست تمويه .
وعلى المكتب جلس رجل بدين مهسم ، يتلقى الطلبات
من الحاضرين ، ويتأكد من موافقة الأقسام المختلفة
هاتفياً . ثم يضع الطلب في صندوق صغير على المكتب ،
ويحدد لصاحب الطلب وقت تكون فيه المعلومات جاهزة
وذلك حسب الدور ..

حدثت (سوزان) في طلبها ، حالات التخدير التي تلتها
غيوبة ، طينة الدم الماضي ، ثم جلست تفكر في الخطوة
التالية ..

وهنا اقتحم المكان رجل نحيل في الأربعين من عمره
هاتفا :

- (جورج) .. أريد عنوانك ..



بهمس وأحضر المحلات وبدأ يلصق قصاصات ورقية عند موضع كل

قال الرجل البدين :

- تحت أمرك يا (هنرى شوارتز) .. نحن دائماً على استعداد لمعاونة إدارة الحسابات .. فرواتينا تحت قبضتهم ' ودون تردد كتبت (سوزان) اسم (هنرى شوارتز) ، فى خانة طالب البيانات .. ثم كتبت فى خانة الإدارة (إدارة الحسابات) ..

وكان (شوارتز) قد انصرف ، بعد ما ترك طلباته وتبقى وعدا باستلامها فى الساعة مساء . فنهضت إلى الموظف الجالس ، وتظاهرت بأنها تسأله عن شيء ما .. ثم دست طلبها بين أوراق (شوارتز) دون أن يلاحظ الموظف ما حدث ..

ثم إنها شكرته وغادرت المركز ..

وفى تمام الساعة مساء ، رفعت سماعة الهاتف ، وطلبت مركز (الكمبيوتر) . وتحدثت فى ثقة .
- الو .. إدارة الحسابات . هل استلم مستر (شوارتز) البيانات المطلوبة منكم ؟

- نعم .. منذ دقائق خمس ..

وضعت سماعة الهاتف . واتجهت - بالنسول - إلى إدارة الحسابات فى الطابق الثالث ..

كان هناك ثلاثة موظفين فقط يعملون مساء . واتجهت إلى حيث جلس (هنرى شوارتز) ، تراجع فى شغل البيانات التى حصل عليها لتوه من مركز (الكمبيوتر) .. مشيت إليه وحيته ثم قالت :

- لقد حدث خلط بين بياناتك وبياناتى .. البيانات التى طلبتها أنا تخص حالات الغيبوبة فى المستشفى .. وقد خلطوها بأوراقك فى مركز (الكمبيوتر) .. فهلا سمحت لى باستردادها ؟

قلب الرجل الأوراق ، حتى وجد الورقة التى تريدها .. ناولها إياها ثم غمغم بشك :
- لكنها مطلوبة باسمى أنا ..

- لهذا حدث الخلط .. لكنك ترى أنها لا تهتك بالتأكد ..
- يجب أن أكتب (جورج) عن هذا ..
قالت وهى تأخذ الورقة متجهة للباب :
- لا داعى . ناقشت معه الأمر ، وقد وعدنى بأنه لن يتكرر .. شكراً لك ..

★ ★ ★

جلست مع (بيلوز) فى استراحة الطابق الخامس ، وكان هذا الأخير يلتهم طبق كريمة ، أعطاه له أحد المرضى الذى كان يشعر بغثبان فلم يستطع التهامه ..

كن (بيلوز) مندهشا . ف (سوزان) التى لم تحضر
محاضرات الصباح ، مارالت بالمستشفى حتى الثامنة
مساء .

قالت (سوزان) وهى تخطط على البيانات بقلم أصفر
مميزك :

- كما قلت يا (بيلوز) ، لم تكن هناك حالات ، ولا ست
حالات ، بل إحدى عشرة حالة !

ظهر الاهتمام على وجهه . وتغيرت لهجته وسألها :
- هل أنت متأكدة ؟

- بيانات (الكمبيوتر) تؤكد ذلك ..

- وكيف حصلت عليها ؟

- ساعدنى (هنرى شوارتز) .. كان لطيفاً ومجاملًا !

مال (بيلوز) بتأمل الأوراق ثم غمغم :

- إن هذا المستشفى كبير يا (سوزان) .. هل تعرفين كم

حالة نراها هنا كل يوم ؟

- حالات الوفاة أسبابها معروفة ، ويمكنك دائمًا أن

تجرى الصفة التشريحية لها . أما حالات الغيبوبة هذه ،

فلا سبب لها ، ولا يمكن تشريحها لأن أصحابها أحياء ..

- هناك مريضان ماتا بسبب توقف التنفس اليوم . ولن

يجد التشريح سبباً لهذه الوفاة ..

- هل حقاً حدث هذا ؟ ومم كذا يعالجان أصلاً ؟
- لا أذكر .. واحد كن يعانى جلطة ويريد ساق ..
والآخر .. ربما شلل رعاش ..

- وما اسماهما ؟

- (كروفورد) و (فيرار) .. الطابق السادس ..

- وهل سيحرون التشريح عنيهما الليلة ؟

- الليلة ، أو صباح غد ..

شكرته فى حرارة ، على تصوير الأوراق التى طلبتها ،
وعلى هذه المعلومة الهامة ، ثم إنها تركته عائدة إلى
غرفتها ..

ربما للمرة الأولى منذ الصباح ..

★ ★ ★

الاثنين ٢٣ فبراير الساعة ٨,٣٢ مساءً :

يعتبر علم (الباثولوجى) وتشريح الموتى، لمعرفة سبب وفاتهم، هو الجانب المعظم من الطب. التخصص الذى يبدأ بعد فشل العلاج والموت وكانت (سوزان) تفكر فى هذا، وهى تهبط درجات السلم، متتبعة الأسهم إلى حيث قسم (الباثولوجى). لا نسمع سوى خطواتها على الأرض الخرسانية.. ولم تكن قد رأت سوى عملية تشريح واحدة فى حياتها، زرعت فى روحها الشعور بتفاهة الحياة ووهن الإنسان.. دفعت الباب الذى كتب عليه، للعاملين فقط،، داخله إلى معمل (الباثولوجى). منضدة طويلة من الطوب فى وسط القاعة، فوقها أجهزة مجهر، وشرائح زجاجية، وكبماويات مختلفة. وكانت راحة (الفورمالين) تملأ المكان. وعلى الحوائط رفوف ملأى بأنية زجاجية.. وتبينت أن هذه الانية تحوى أجزاء أنمية عديدة.. رأت إناء زجاجي، يحوى رأساً بشرياً مقسوماً بالطول إلى شطرين.. والورقة المنصقة على الإناء كتب عليها باللاتينية: (سرطان بلعوم - عينة ٣٠٤ - أ - ٦٢ - ٣٢).

ارتعدت (سوزان)، وأشاحت بوجهها عن هذه الرفوف.. مشت إلى نهاية الردهة، إلى حيث وجدت باباً زجاجياً كبيراً، ومن وراء الباب وصلت لسمعتها أصوات.. فوقفت تتساءل: هل تدخل؟

- هل أنت طالبة؟

قلها طبيب خرج من باب حنبى وهو يبتسم. ولم ينظر ردها، بل اتجه لصنور الماء ليفسل فيه وسألها عما إذا كان يستطيع خدمتها.. فقالت:

- أسأل عن مرضى متوفين فى الطابق السادس. مريضين يدعى (فيرار) و (كروفورد) هل تم تشريحهما؟

نظر إلى ورقة معلقة على الحائط. ثم قال - نعم.. هما هنا.. (لهم) (يعملون) فى (كروفورد) الان..

ودعاها للدخول، فاستجابت. كانت الحجرة واسعة جداً، ذات إضاءة معتمة، وحوائطها معطرة بالقيشاني الأبيض، المهشم فى عدة موضع وفى وسطها منضدتان من رخام بنى شكل مثل، ينطلق من فوقهما مجرى مائى دائم، نحو بالوعة على الأرض..

وكان جسده ما كان (كروفورد) يوماً ما، يرقد على
المضعدة الرخامية، على حين وقف جواره طبيب ..
أحدهما يزن الأعضاء التي تم استئصالها على ميزان
صغير، بعد ما وضعها في دلو ..

ورأت أنهما لاحظا وجوده، فذنت منهما وألقت
التحية، ثم تساءلت عما إذا كنا قد عرفنا سبب الوفاة،
فأجبا بالنفي . وقال إنهما لا يتوقعان معرفته، لأنهما مرا
بنفس الخبرة مرارا هذا العام، ولم يحدث أي مرض في الرئة
أو المع يبرز ما حدث ..

شكرتهما (سوزان)، وعادت إلى الغرفة الخارجية،
وقد غلبها الدوار والغثيان . عدت إلى الطبيب الذي جلس
برشف القهوة، وبقيضم الكعك على مكتب صغير، بينما
يوقع على كومة من التقارير الطبية .

- يبدو أنني لا اتحمل روية التشريح .

إنه شيء يئس بالنعوذ ككل شيء آخر ..

وبعدما استأذنته أخذت ملف (كروفورد)، و ملف
(فيرار)، وشرعت تنقل ما بهما في مفكرتها السوداء
الصغيرة ..

★ ★ ★

الثلاثاء ٢٤ فبراير الساعة ٨.٠٥ صباحاً :

جرس المنبه يدق، و (سوزان) في فراشها الدافئ
الحبيب .. تجد صعوبة جمة في الاستيقاظ .. وبعد قليل
عاد عقلها يعمل، متذكرا أحداث اليوم السابق، حتى الثالثة
صباحاً، ظنت تراجع المقالات التي صورها (بيلوز) لها،
وكل مادونته عن حالات الغيبوبة . ومعها أدركت أن
المشروع بالغ التعقيد، يتطلب الكثير من المثابرة
والجهد ..

لكن هذا زاد من حماسها وقوى من عزمها .
أخذت حمامها، وتناولت الإفطار، وارتدت ثيابها، ثم
هرعت إلى المستشفى، قبلت زميلها (نايلز)، الذي
تساءل عن سبب عدم حضورها المرور على المرضى،
وقد تجاوزت الساعة ..

قالت في شيء من التحدي :

- يمكنني أنا أن أسألك ذات السؤال ..

- كنت أجرى أشعة على رأسي، بعد سقطة البارحة ..

هيه ! لا تقلقي ! كل ما وجدته الأشعة هو كبرياء
جريحة .. لكن هذه لا علاج لها هنا كما تعلمين

ضحك وضحكت . وصعدا معا إلى الطابق الثامن .
وهناك كنت الإدارة الطبية في الغرفة رقم ٨١٠
كان مدير الإدارة هو د. (ج . نيلسون) ، نائب
د. (ستارك) ، وكان ذا نفوذ قوى في المستشفى ، لكن ليس
كنفوذ د. (ستارك) ..

فلم تكن له ديناميكيته ولا شخصيته الجذابة القوية .
قدمت نفسها للسكرتيرة الباسمة ، على أنها واحدة من
طلبة د (نيلسون) ، ثم جلست تتأمل المكتب الفاخر ،
والأثاث الذي يدل على مرتبة عالية ، حققها د. (نيلسون)
لذاته .. بعد أعوام من الجهد ..

وبعد قليل دعته السكرتيرة للدخول ..
كان مكتب (نيلسون) يغطى بالأوراق والكتب المبعثرة
في كل مكان ..

وعلى المكتب جلس (نيلسون) يدخلن الفليون ، دعاها
للجلوس على مقعد جلدي عتيق . وسألها عن أية خدمة
تريد ؟

- إنني مهتمة بموضوع الغيبوبة ، التي تحدث دون
سبب ظاهر ..

انكأ إلى الوراء في كرسيه . وغمغم :
- الغيبوبة ظاهرة أكثر منها مرض . وسببها هو
ما يثير شغلنا ..

فأى سبب يثير اهتمامك أنت ؟

- أتحدث عن الحالات التي تحدث في هذا المستشفى .
بعد عملية التخدير . وعددها يقرب من اثني عشرة
حالة ..

- كيف عرفت هذه المعلومات يا مس (هويلر) ؟
كن صوته وبظرائفه قد تبدلا تماما عن ذي قبل .. لكن
(سوزان) لم تلمس هذا التبدل المفاجئ

- حصلت على هذه المعلومات بالكمبيوتر ..
وتناولته الورقة التي حصلت عليها أمس .. وأردفت :
- سترى هنا أن شيئا ما ، يربط كل هذه الحالات
ببعضها .. وما أحتاج إليه منك ، هو السماح لي باستعمال
الكمبيوتر ، لمعرفة سير الحالات في الأعوام السابقة ،
وما إذا كان ثمة شيء يربط بينها .

بدت عليه الصرامة ، وتغير أسلوبه في المعاملة بشكل
ملحوظ ..

نصحها بأن تدرس موضوعا آخر ، لأن موضوع
الغيبوبة قد قتل بحثا .. لكنها أبدت إصرارها وبهتت
لتنصرف ..

أما ما أثار دهشتها ، فهو أنه شي الورقة التي عليها
بيان (الكمبيوتر) ، وقال لها في فتور :

- إن هذا النيان سرى . وليس من حقد الاحتفاظ به .
نظرت له هنيهة ، ثم استدارت منصرفة ، دون كلمة
واحدة ..
أمسك بالهاتف .. بعد رحيلها - وأدار القرص طلباً
رقماً ..

★ ★ ★

جلس د. (هاريس) رئيس قسم التخدير على مكتبه ،
بقلب الأوراق ، كان (سوزان) لا وحوود لها في الحجرة ..
وبرغم برودة الطقس ، كان يرتدى قميصاً قصير الأكمام ،
لتلتصق الإضاءة الفلورسنت انقوية على ذراعيه الضخمين ،
فيكتسبها لون البرونز ..

قالت (سوزان) في كياسة :

- أعترف أنني خرجت عن طوري أمس .. فقد كانت
علاقة شخصية عمرها دقيقتي ، تربطني بهذا المريض ..
وحين تبينت أنه غيب في حالة السبات ، فقدت وعيي .
وخرجت عن حدود اللياقة ، و ..

ردّ (هاريس) مقاطعاً ببرود :

- لذلك رجعت إلى طبيعة (الحريم) ..
تصاعد الدم إلى رأس (سوزان) ، لكنها تماثت
أعصابها .. وردت :

- لو كان هذا رأيك في عمل المرأة ، فهذا شأنك .. لكن
السلوك العاطفي أمر مفهوم ، سواء للرجال أو النساء ..
لكنني لم ات لمناقشة هذه الأمور - جئت أعذر عن سلوك
غير مهذب مني ، لا عن كوني خُفقت امرأة ..
وابتلعت ريقها وأضافت في توتر :

- إذا كان كوني امرأة يزعجك ، فتلك - دون شك -
مشكلتك ..

- أنت تعودين لذات السلوك غير المهذب يا عزيزتي ..
نهضت (سوزان) واقفة . وثبتت عينيها في وجهه :
- أسفة على حضوري لك . إن حديثنا لن يؤدي إلى
نتيجة ما .. بعد إذنك ..

استوقفها صوته قبل أن تجذب مقبض الباب إذ قال :
- الواقع يا مس (هوبلر) أنسى لا أومن بالنساء في
مهنة الطب . (إنهن يتعاملن معه على أساس أنه لعبة ..
موضة .. بالإضافة إلى ذلك ، هن عاطفيات أكثر من
اللازم ..

قاطعته (سوزان) في عصبية :

- هذا كلام فارغ يا د. (هاريس) . أنا لم آت لأسمع
رأيك في المرأة والطب - أمثالك هم المسؤولون عن جعل
المهنة غير قابلة لتحديات التطور العلمي ..

صرب (هاريس) المكتب بقضه يده ، فنطارت الأفلام والأوراق ..

وفى اللحظة التالية كان واقف أمامها . أجفلت (سوزان) من هذه الثورة ، حتى توقعت أنه سيجن ويضربها .. سمعته يقول :

- مس (هويلر) أنت لست المصيح الذى سينقذنا بمعجزة من مشكنة قتلهاها بحثا . (إن لك تأثيرا مدمرا على هذا المستشفى وأعدك بأنك لن تكونى هنا خلال أربع وعشرين ساعة .. والان اخرجى من مكنتى ! ..

وفرد (صبعه نحو الباب ، كمسدس سريع الطلقات ، فخرجت (سوزان) مهرولة ، والدموع فى عينيها خوفا وغضباً ..

★ ★ ★

الثلاثاء ٢٤ فبراير الساعة ١١ صباحاً :

كلا .. كلا .. لن تهكى ..

كانت تمشى فى العمر ، محاولة ألا تلتقى عيناها بعيون من يقابلها .. فقد كان وجهها يظهر ما تشعر به من انفعال ، وتحول خداهما وجفناها إلى اللون الأحمر القانى .. تشعر بالمهانة والحنق ..

هل هى حقاً أحنقت (هاريس) ، إلى درجة أنه كاد يضربها ، حين قفز من مكتبه ليواجهها ؟ . إنها تحس الوحدة والانعزال فى هذا المستشفى .. هل هى حقاً حنفاء إلى هذا الحد ؟ هل الجميع على حق ؟ .. لكنها مصرة على الماضى فيما اعتزمت عليه .. لن تتخلى عن (نانسى) الراقدة فى العناية المركزة ، تنتظر أن ينقذها أحد .

ليكن ما يكون . ستقابل د. (ستارك) رئيس قسم الجراحة ، ليعاونها بنفوذهم فى الحصول على ما تريد من (الكمبيوتر) ..

كاد (بيلوز) يموت هلعاً حين أخبرته بما اعتزمته : - هل جننت ؟ .. تقابلين (ستارك) ؟ . إنه سيأكلك حية .. إن (هاريس) هو حمل إذا ما قورن ب (ستارك) !

لكنها كانت مصممة .. وعرفت من (بيلوز) ، أن
(بيرمان) لم يعد في العناية المركزة ، بل نقل إلى ما يدعى
(معهد جافرسون) ..

- وما هو هذا المعهد ؟

- هو معهد للعناية المركزة ، تابع لموسسة الحفاظ على
الصحة - إدارته إدارة خاصة ، وإن كان تمويل إنشائه
حكومياً .

- لم أسمع عنه قط .. هل زرتة ؟

- اتعنى ذلك . لقد رأيته من الخارج ، فوجدته بناءً
عصرياً عملاقاً .. لفت نظري أنه بلا نوافذ في الطابق
الأول .. ويسمح بزيارته للجماعات الطبية ، في الثلاثاء
الثاني من كل شهر .. ويقال إنه يسمح بدخول كل حالات
القيحوبة ، التي تكظ بها المستشفيات .

- لكن (بيرمان) حالة حديثة . فكيف نقل هو وظلت

(نانسي) ؟

- العيرة باستقرار الحالة - حالته مستقرة لا كحالة
(نانسي) ، التي تصاب بمصاعف طويلة الوقت .. وبمجرد أن
أجد منها استقراراً ، سأقوم بنقلها إلى معهد (جافرسون) .

★ ★ ★

الثلاثاء ٢٤ فبراير الساعة ١١.٤٥ صباحاً :

هرع (بيلوز) للحاق بموعد إجراء جراحة بواسير ،
لرجل في الثانية والستين من العمر . هي عملية تافهة ،
لكن (بيلوز) كان يحب الجراحة حقاً .. وبمجرد أن يبدأ
وينتابه إحساس المسؤولية المقدس ، الذي يعطيه إياه
المبضع في يده ، لم يكن يعنيه ما يقوم به ولا أهميته ..
اتجه (بيلوز) إلى المكتب الرئيسي في قسم الجراحة ،
وسأل الموظف عن غرفة المريض .. فنظر الموظف إلى
الجدول :

- د. (بيلوز) ؟

- بشحمه ودمه ..

- أنت معطى من هذه الجراحة ؟

- من ؟ .. ومتى ؟

- ربما كان من الأفضل أن نقابل د. (تشاندر) في

مكتبه ..

كان د. (تشاندر) ، هو كبير الأطباء المقيمين ، الذي
يوزع الجراحات عليهم - وهو همزة الوصل بينهم وبين
كبار الإخصائيين .. في الثالثة والثلاثين من العمر .. أشقر
الشعر .. وسيم المحيا ..

جلس (بيلوز) على المقعد الخشبي ولم يتكلم أى
منهما فى البداية ، ثم قل (تشاندلر) إنه اسف لإعفاء
(بيلوز) من حالة البواسير تلك ، وقال له إن (هاريس)
اتصل به هاتفياً ، وكان محنقاً جداً ، لأن أحد الطلبة فى
المجموعة عاكف على دراسة حالات الغيبوبة .. ويظن
(هاريس) أن (بيلوز) ، هو من حرض هذا الطالب على
دراسة الموضوع وبصحته - فى إخلاص - أن يقنعه
بالتخلي عن هذا البحث ..

لكن هناك نقطة أكثر خطراً :

- ما هو رقم خزانك فى غرفة الجراحة ؟
- ثمانية ..

وماذا عن ٣٣٨ ؟

- كانت خزانتي لفترة موقفة .. استعملتها أسبوعاً ، ثم
أعطوني رقم (٨) ..

- هل تعرف طريقة فتحها إن ؟

- ربما .. إن فكرت قليلاً ما هو الموضوع بالضبط ؟

- لقد وجد د (كاولى) أن هذا الدولاب (٣٣٨) ملئ

بالعقاقير .. بما فى ذلك المخدرات .. وكان اسمك فى

قوانمنا أمام رقم (٣٣٨) وليس (٨) ..

- لكن (والترز) هو من طلب منى استعمال (٣٣٨) ، ثم
أعطاني رقم (٨) بعدها ..

- إن الأمر خطير .. فلا تخبر أحداً به .. أعتقد أن إدارة
المستشفى ستسألك بهذا الخصوص ، وهم لا يريدون انتشار
أخبار ..

غادر (بيلوز) الغرفة حائراً ..

هو كان واثقاً بأن اسمه سيربط باسم (سوزان) فى
موضوع الغيبوبة ، لكن موضوع العقاقير هذا مفاجأة
حقيقية له .. لماذا يقوم شخص بتخزين عقاقير بهذا
الشكل ؟ .. ما دور (والترز) فى الموضوع ؟ ..

هل يخبر (سوزان) بهذا أم لا ؟

★ ★ ★

الثلاثاء ٢٤ فبراير الساعة ٢.٣٠ بعد الظهر :

كان مكتب رئيس قسم الحراحة رحبارانغا . به نافذتان تحتلان جدارين كاملين ، والمكتب من الخشب الأسود ، عليه لوح من الرخام الأبيض . وثمة مكتبة بها جزء متحرك ، يفتح على بار مليء بالزجاجات والأكواب ، وعلى المكتب جلس (ستارك) ، تنعكس صورته في عشرات المرايا إلى جانبه .. يرتدى حلة من اللون البيج تناسبه تماما ، وقد أرجع شعره الأشيب إلى الوراء ، وجلس يقرأ ورقة في يده بعينين خصرأوين حادتين ، من خلف منظار هلالى العدسات ، ولم تتمالك (سوزان) أن شعرت بالانبهار به ..

فلما (سوزان) بعد برهة وهو يبتسم :
- إن ما نقولين يا أنسة لا بأس به .. لكن إثباته مستحيل ..

ثم رفع عينيه نحوها ، وأردف :

- لم لا تطلبين ما تريدن من الإدارات المعنية ؟
- حاولت .. وقوبلت بمعاملة غريبة ، كأننى طفلة يجب أن تُقصى عما يحدث حتى أننى بدأت أعتقد أن شيئاً غير مشروع يجرى هنا ..



ثم رفع عينيه نحوها ، وأردف :

- لم لا تطلبين ما تريدن من الإدارات المعنية ؟ ..

وصممت انتظرا لرد فعله الغاصب أو الساخر . لكنه
دار حول محور كرسيه ، وأخذ يتأمل النافذة ثم غمغم :
- إن لك خيالاً خصبا يا دكتورة (هويلر) ..
كان نبأ العثور على عقاقير في خزانة (بيلوز)
بورقه . لكنه احتفظ بالسِر لنفسه .. بالتأكيد هناك أشياء
غير مشروعة تتم في هذا المستشفى .. لكنها لا تعرف
ما يعرفه على كل حال ..

- إن د (هاريس) يهدد بإنهاء تدريبي في
المستشفى ..

- من الصعب البقاء مع د (هاريس) ، فهو انفعالي
إلى حد كبير ، برغم كفاءته . لكنى سأرى ما يمكن عمله
بالنسبة لك في هذا الصدد . لكنى احذرك سنثيرين
عداوات كثيرة حولك ، حين تتعاملين مع هذا الموضوع
الشائك ..

ثم أوصلها إلى الباب في لطف ، وفتحه لها .. فقالت
(سوزان) :

- يسرنى يا د (ستارك) ، أنك على نقیض سمعتك
التي تقول إنك تلتهم البشر أحياء !

صحت في ثقة

- ربما تجدین هذه السمعة صحيحة ، إذا ما حضرت
المرور معى صباحاً ! ..

فما إن خرجت حتى طلب سكرتيرته
هو يريد أن يعرف ما فعله (بيلوز) بشأن العقاقير ..
إن نجاحه - (ستارك) - قائم على الاهتمام بكل صغيرة
وكبيرة ..

فلو تهاون لدمر أولئك الأغنياء سمعة المستشفى الذي
كافح كي يبنيه ..

★ ★ ★

الأربعاء ٢٥ فبراير الساعة ٨ صباحاً :

لم تذهب (سوزان) للمستشفى هذا الصباح ..
كانت قد صممت على زيارة معهد (جافرسون) الشهير
هذا ..

نعم هي تستطيع دخوله - بقليل من الحظ - مرتدية ثياب
ممرضة أو طبيبة ، ولن يكون هناك مشكل ما ، طالما أن
الغوضى نعم كل المستشفيات ..

المشكلة الحقيقية ، هي أنها لا تعرف المبنى ..
وستضل طريقها هناك حتما ، فيبضح أمرها .

ووجدت الحل المناسب بهاء على نصيحة (بيلوز)
ستذهب إلى مجلس المدينة ، لتبحث عن رسوم هذا
المعهد ، وتعرف جغرافية الطابق الأول منه ، وتحفظها
عن ظهر قلب ..

وقد كان ...

ومشت بين زحام العارة ، وتحت الأمطار العنهمرة ،
شاردة الدهن . لا تدري ها ما الذي جعلها تنظر إلى
اليسار ، حين رأت رجلا يرتدى معطفا أسود اللون ،
وقيعة ، توقف عن السير حين نظرت (سوزان) به .

عادت تواصل سيرها ماشية فوق الجسر ، تتأمل مياه النهر
القائمة .. ثم نظرت ورائها ..

كان ذلك الرجل واقفا على مسافة يرمى الماء مثلها !
غريب هذا . ليس من المعتاد أن يقف مجنون سواها
يرمي الماء ، في هذا الجو اللعين .. في الواقع لم يكن
سواهما على الجسر ..

شعرت بالقلق ، وقررت أن تعبر إلى الجهة الأخرى ،
لتركب المترو عائدة إلى دارها .. وهنا وجدت الرجل يسير
وراءها في إصرار وتؤدة ..

أسرعت السير ، ثم دخلت أحد الشوارع الجانبية ،
ووقفت تنتظر .. وكنت النتيجة إيجابية .. لقد ظهر الرجل
مسرعا عند مدخل الشارع ، ثم نظر نحوها ، وتأكد من
مكانها . ثم عاد يجد السير كانه ماص في طريقه المعتاد ..
هرعت إلى محطة المترو الأرضي ، ونزلت درجات
السلم ..

وحين رفعت رأسها ، وجدت ذلك الرجل يهبط الدرجات
خلفها !

وهنا سمعت صوت المترو قائما مترو مليء بالناس
حتما . زادت سرعتها على درجات السلم ، لتجد أن الأبواب
تغلق .. والمترو يتحرك من مكانه .. صرخت لاشعوريا :
- بربك انتظر !

وشرعت تجرى حوار المترو الذى تنزايد سرعته أكثر
فكثُر ثم نعداها وغاب فى النفق .. وهى تلهث دامعة ..
وغدت المحطة خاوية تمامًا ..

وهما ظهر الرجل . فى تودة يتقسم منها .. ثم يشعل
لفافة تبغ . يلقى بعود الثقاب . يسحب بعض أنفاس من
لفافه قبل ان يدنو منها أكثر . إنه - وهذا واضح -
يستمتع بالرعب الذى يسببه لها ..

ورأته يمد يده فى جيبه . باحثًا عن شيء ما ..
مسدس ؟ . ربما سكين ؟ لم تنتظر أكثر . وثبتت من على
حافة الرصيف - أربعة أقدام من الأرض - وجرت فوق
القضبان داخل النفق المظلم ..

ولكن القضبان تداخلت . واشتبك كعب حذائها بين
قصبتين فتعثرت . حاول استراخ قدمها دون جدوى . إن
الرجل ات خلفها لا محالة ! يجب ان ..

ذلك الهدير العالى . إنه قطار قدم نحوها !
الضوء الباهر وبذبات العجلات ، وأطنان الصلب التى
سمر فوق قضيب ما . ربما هو هذا القضيب .
الصوت يتزايد ! استرعت قدمها من الحذاء وتكورت
حول نفسها متدحرجة الى جانب القضيب . وشعرت
بالمetro يمر كالعاصفة جوارها ..

غطى العرق جسدها كله ، وأخذت ترتجف غير مصدقة ..
هى حبة ترزق ، لكن جسدها ملىء بالرضوض ، وأزوار
ثوبها تمزقت وتبعثرت حاجياتها . ومن الغريب أن
حذاءها خرج من بين القضبان بسهولة حين ضغطت عليه
لتخرجه ..

رأت أناسا يحيطون بها ليساعدوها .. كلهم يتكلمون فى
أن واحد ..

كانت فى حال بين الخيال والواقع .. كأن ما عاشته هو
مجرد كابوس ، فلا يوجد رجل ذو معطف أسود ..
أبت أن يحضروا لها الإسعاف . هى لا تريد سوى
العودة لدارها .. دارها الحبيبة .. ومع الآخرين ركبت
القطار عائدة ..



الأربعاء ٢٥ فبراير الساعة ١٠,٣٠ بعد الظهر :

كان اليوم سيبا بالنسبة - (سينور) انتم تذكرون ان
(سوزان) لم تشرك في المرور الصباحي معه ولكن
(ستارك) كان هناك ، وقد سبه عنها ، ولماذا لم تحضر
المرور ؟ ففجر الحاضرون ضحكاً ، وصعدت الدماء إلى
وجه (بيلوز) ، الذي تنقّى محاصرة عن المواظبة ، وعن
مسئوليته الكاملة عن المرام من يشرف عليهم .

نعم كان اليوم سيباً - فخطيلة المرور ظل (ستارك)
بوجه اسئلة عسيرة لـ (بيلوز) بالذات ، ويرفض أية
إجابة عليها من سواه .

وبعد أن انتهى المرور ، أخذه متحياً به جانباً ، وقال
له : إن ادعاء (بيلوز) سبى - وقد - بمراحل - عما تتوقعه
منه إدارة المستشفى ، بل وسأله عما تم في موضوع
العقابر استى وحدوه في لخرانة (٣٣٨) .

وحن حنور (سينور) ، وأرمع ان يناقش (والترز) بشأن
هذه الأشياء في دولاته لكنه هوجى بان (والترز) متغيب
عن العمل منعيب للمرة الأولى ، منذ خمسة وعشرين
عاماً ؟ ..

ذهب لشؤون الافراد ليضرب رقم هاتفه . فلم يجد سوى
عنوانه (١٨٣٣ شارع ستيوارت - روكسبرى) ..
وعلى الفور استقل سيارة أجرة إلى هناك . تاركاً
مسئولية العمل لزميله (نوريس) في فترة غيابه ..
كان في أمس الحاجة إلى إنهاء موضوع العقابر
فوراً .. فمركزه في المستشفى قد تزعزع كثيراً .
و (والترز) هو الوحيد الذي يقدر على تفسير كل هذا ..
كانت سيارة الأجرة تمضي في شوارع ضيقة صغيرة
تحت الامطار . وعلى الحائسين مبان قديمة متهاكة ،
وهوت السيارة في مطب ملئ بالمياه القنرة ، مما جعل
رأس (بيلوز) يصطدم بالسقف ..

وأخيراً وصل إلى هدفه فدفق للسائق أجره ووقف
تحت السيول يرمق السيارة الممتعدة ، متسائلاً في نفسه
عم إذا كان من الأوفق لو جعل السائق ينظره
احتار مدحلاً قدراً معطى بقطع الزجاج المهشمة ..
صنة متهاكة وسطها سنم قديم محطم ، وعلى الغبار آثار
أقدام حديثة ..

صعد في السلم إلى الطابق الثاني . راحة الهواء
العضة الثقيلة ، وخيوط العنكبوت تتدلى من السقف .. ثم
نزل السلم مرة أخرى ..

وهنا سمع صوت دقة ، قادمة من خلفية المنزل .
تردد (بيلوز) وتسارع نبضه .. هو ذا الصوت مرة
أخرى ..

سار نحو مصدر الصوت ، ف شعر بحركة على يساره ،
جعلت الدماء تتجمد في عروقه . دقّ النظر ، فأدرك أنه
يرى فرانا تهرع فارة إلى جحورها ، بعد ما عثت ببعض
الصناديق من الورق المقوى ..

كان هناك باب جوار الصناديق .. فتحه (بيلوز)
ببطء .. ثمة قبو يسوده الظلام .. أخرج بطاريته الصغيرة
فأضاءها .. نزل السلم المظلم ببطء ، ليبرهن لنفسه أنه
ليس خائفاً إلى هذا الحد ..

ثمة باب صغير أدار مقبضه .. فوجد نفسه في غرفة
كبيرة ، بها أثاث بال ، وفراش متهاك مغطى بورق
الجراند . يوجد باب صغير يودي - غالبا - إلى حمام ..
ودفع (بيلوز) الباب ، وراح يدور بضوء البطارية
على السقف .. والحوض .. ثم

صرخ صرخة مكتومة ، وألقى بالبطارية فتهدمت ،
وساد الظلام شرع يركض في اتجاه السلم .. اصطدم
بالحائط والهلع يغزو عقله . أخيراً وجد السلم .. أخذ
يصعد فيه ، متحسناً لربه ..

ولم يهدأ حتى وجد نفسه خارج المنزل الرهيب ..
لن ينسى ما عاش ما رآه داخل الحمام . كان (والترز)
هناك . معلقاً من خطاف كبير .. عيناه كانتا مفتوحتين ،
والدم المتجمد يغطي فاه . وكان ميئاً للغاية إذا صرخ هذا
التعبير ..

لقد اعتاد رؤية الفظائع في غرفة العمليات ..
لكنه لم ير قط أفظع من جثة (والترز) ..

★ ★ ★

الأربعاء ٢٥ فبراير الساعة ٥ مساءً :

إلى غرفها دخلت (سوزان) منهكة مفككة الأوصال ،
بعد ما عاشته من انفعالات هذا الصباح .. أصابت
الأنهاجورة جوار الفراش بضونها الخافت ..

وهنا سمعت صوتاً غريباً خلفها ..

تصلبت برهة ، وأرهفت السمع ، لكن الصوت لم
يتكرر ..

اتجهت إلى الحمام ، واضاءت المصباح الفلورسنت .
وهنا شعرت بشيء يش خلفها . ورأت ومضة السكين ..
ثم أحست بصربة عيفة على رأسها ، جعلتها تدور
مصطدمة بالحائط . حاولت أن تصرخ ، لكن الصرخة
احتبست في حلقها ..

شعرت بمهاجمها يضغط على عنقها دون هوادة . يدان
كثقلان . وعرفت الرجل . ذلك الذي تبعها في محطة
المترو . وشعرت بنصل السكين تحت ذقنها . ثم - دون
إنذار - تركها تسقط على أرض الحمام .. ركلها فتهاوت
على ركتيها وسالت من شفتيها الدماء ..

كان وجهه مجدوراً .. وعلى شفتيه ابتسامة شيطانية .
وكان يقول :

- للأسف إن التعليمات التي لدى ، هي أن أكتفى
بتحذيرك ، إن بعض الناس لا يروى لهم ما تقومون به في
الفترة الأخيرة ، وإذا لم تكفى عن ذلك ، سأضطر إلى
زيارتك مرة أخرى ..

ثم أردف وهو يمسك شيئاً في يده :

- لربما قمت بزيارة لهذا الطفل .. ولربما ترتب على
ذلك أن يقتل في حادث مؤسف ..

ورمى هذا الشيء إليها . هي صورة فوتوغرافية
لأخيها الصغير (جيمس) ، الذي كان في (ميريلاند) في
هذه اللحظة .

- ولا داعي لأن أؤكد أن هذه الزيارة سر بيننا ..
ولجؤوك للشرطة سيجعل العقاب أشد .
ثم تركها مفادراً الحمام ، وسمعت (سوزان) باب الشقة
يغلق ..

تكرمت حول نفسها مولولة .. لقد أنساها الفزع ، كل
الخطط الوهمية التي أعدتها في الماضي للحظة كهذه ..
إصبعان في عين مهاجمها ، أو ركلة أسفل بطنه .. نسيت
كل هذا ..

ثم كيف عرف هذا الشيطان اسم أخيها ، وكيف دخل الشقة ؟

هرعت إلى باب الشقة ، وأغلقتة بالمزلاج .. أما الشيء المغزى الذى فطنت إليه ، فهو أنها بللت نفسها كالأطفال من فرط الرعب ..

لكنها فطنت لمعنى هذا التهديد ..

إنها قد وصلت - بالتأكيد - إلى شيء كبير وخطير ، ولا بد أنها فى الطريق الصحيح ، حتى لو كانت لا تعرف معنى ذلك ..

وقفت تحت (الدوش) تفتسل وتزيل الدماء التى سالت على شفتيها ..

هل تخبر (بيلوز) ؟ .. لا . هو لن يكون موضوعيا . فكرت فى د . (ستارك) العقلانى . الذى لن يتعامل معها كأنثى أو طالبة ، بل كصديق ..

خرجت من الحمام واتصلت بمستشفى (بوسطون التذكارى) ، فأوصلتها عاملة الهاتف بـ د . (ستارك) .. قالت مستجمة شتات أعصابها :

- د (ستارك) .. أنا واثقة بأن هناك جانبا إجراميا فيما يحدث ، وأظن أن هناك منظمة ما مثل (المافيا) فى الموضوع ..

- ماذا يدعوك لهذا الظن يا (سوزان) ؟

- أشياء ملغزة حدثت اليوم . وكدت ألقى حلقى مرتين ..

- هل أنت واثقة بأنها ليست مزحة أو شخصا موتورا ؟ .. إن هذا يحدث أحيانا ..

- لا .. لقد هددنى بقتل أخى الصغير ..

- إذن لم لا تبلغين الشرطة ؟

- سيظنون الأمر مجرد محاولة اغتصاب بصادفونها كثيرا ..

- نصحتك مرارا بنسيان الموضوع يا (سوزان) ..

- إن لى مطلبنا هاما يا د . (ستارك) .. أريد أن تسهل

لى زيارة معهد (جافرسون) ، حيث ينقلون حالات الغيبوبة ..

- هذا مطلب صعب يا (سوزان) .. فإدارة المعهد

خاصة للاحكومية ، وليس لى كثير دلال عليهم .. لكن ليكن .. اتصلى بى فى التاسعة صباح غد ، لنرى ما قد يكون بوسعى فى هذا الصدد ..

شكرته (سوزان) بحرارة ، ووضعت سماعة الهاتف

مطمئنة إلى أن لها على الأقل صديقا واحدا فى هذا العالم ..

إن أمامها الآن يومين على الأكثر ، قبل أن يعرف من هددوها ، إنها لم ترضخ للتهديد .. وعليها أن تتحرك بسرعة ..

الأربعاء ٢٥ فبراير الساعة ٧,١٥ بعد الظهر :

على الأقل كن لكل هذا معنى .. إن (سوزان) لم تدر
قط أهمية ما وصلت إليه . هي لم تكن قد وصلت لشيء في
رأيها .. لكن هناك من يهددها ..

وهذا يعني أن هناك من يدرك أنها في الطريق
الصائب ..

حان وقت الخروج ..

لننصرف مثلما يفعلون في أفلام الجاسوسية .. نظرت
للتنافذة كي تتأكد من أن أحدا لا يراقبها .. ثم اضاءت
الأنوار . وقمت بحشر ورقة صغيرة في فتحة باب
الغرفة ، بعد أن تأكدت من علقه بالمفتاح ، ثم هبطت إلى
الطابق السفلي ، واستعملت ممرا صغيرا ، يستعمله الطلبة
أحيث نذهب إلى قسم التشريح .. ومن هناك خرجت إلى
الشارع ..

★ ★ ★

لم يكن (أنجلو دامبروزيو) - السفاح الأخير - يعرف
لمذا كلف بهذه المهمة في (بوسطون) .. لكنه في مهنته
يعرف جيدا أن الأسئلة ليست من حقه .. فهذه المرة مثلا

كلفوه أن يطير إلى (بوسطون) ، ثم يتوجه إلى
١٨٣٣ شارع (ستيوارت) ، ليقتل شخصا يدعى (والترز) ،
بعد أن يرغمه على كتابة ورقة ، تقول إنه انتحر ، لأنه
لا يستطيع تحمل تبعات اكتشاف المخدرات في خزائنه ، ثم
كان عليه أن يفرع طبيرة اسمها (سوزان هويلر) ، مهددا
بقتل الطفل الذي أعطوه صورته ..

كان سيستقل الطائرة الآن إلى (شيكاغو) ، شاعرا
بالرضا ، كأي محترف أنجز عمله بنجاح .. وفي المطار
طلب الرقم الذي يعرفه وأبلغه أن (بوسطون) تمت
بنجاح ..

عندئذ رد الشخص الذي لم يره (دامبروزيو) قط :
- ثمة مهمة أخرى .. مس (هويلر) يجب أن تموت
فورا ..

- يحتاج هذا إلى ثمن إضافي ..

- خمسمائة دولار إضافية إذن ..

- ستمانة ..

- اتفقنا ..

وهكذا وجد نفسه مضطرا للعودة إلى دار (سوزان) ..
لم تزل هناك طائرة الساعة ١١,٤٥ هذا المساء .. إن الوقت
كاف جدا لما يريد ..

★ ★ ★

لم يكن واثقا بما إذا كانت (سوزان) قد أبلغت الشرطة عن زيارته الأولى ، لكنه كان يعرف بخبرته السابقة ، أنهم لن يأخذوا كلامها مأخذ الجد .. وحتى إذا فعلوا ، فلن يبدؤا هراستها بشكل جدى بهذه السرعة ..

لم تكن لديه خطة ما ، فهو كعادته يترك كل شيء للطروف .. صعد فى السلم ، ودق الباب مرارا .. كان يعرف أنها لو كانت بالداخل فلن تفتح الباب ، قبل أن تمأل عن الطارق ، ولكنه أراد معرفة كونها بالداخل من عنده .. ولم يتلق ردًا كما توقع ..

فتح الكالون فى ثوان ودخل .. فحص خزانة الثياب . وكان كل شيء فى موضعه ، بما فى ذلك حقيبة ثيابها الكبيرة التى راها فى المرة السابقة ..

لكى تكون قاتلا مأجورا ناجحا فى عمله ، ينبغى أن تكون دقيقًا ..

وكان (دامبرولزو) دقيقًا .. لقد عرف أن (سوزان) لم تغدر المدينة ، وهى حتما عائدة ..

عليه فقط أن ينتظر ..

★ ★ ★

الأربعاء ٢٥ فبراير الساعة ١٠.٤١ مساءً :

كانت (سوزان) قد قامت بمغامرة صغيرة .. تنكرت فى ثياب ممرضة ، وأقنعت حراس الأمن - الأغبياء كالعادة - أن يسمحوا لها بفتح مكتب د . (مكليرى) رئيس قسم الأمراض العصبية ، الذى يحتفظ فيه بكل ملفات حالات الغيبوبة ..

وما إن حصلت على الملفات ، حتى جلست فى استراحة الجراحين تدرسها فى اهتمام ..

وكان (بيلوز) قد أنهى عمله منها ، بعد أن انتهى كذلك تحقيق الشرطة حول انتحار (والترز) المزعوم ..

وحين دخل استراحة الجراحين ، ووجد (سوزان) بثياب الممرضة ، بدأ يفهم ما قامت به من مخاطرة ، وبعد أن لامها كالعادة .. سألها عما إذا كانت قد وجدت شيئا ..

قالت (سوزان) :

- لا أرى حقا .. لكن كل حالات الغيبوبة من الشباب كلهم كانوا بصحة جيدة . تباينت أسماء أطباء التخدير والعقاقير التى استعملوها ، لكنهم جميعا - المرضى - أجريت لهم جراحات فى الغرفة رقم (٨) ..

وربما كان هذا لأنها مخصصة لراحات الصغرى ،
والغريب أنهم جميع .. تم عمل فصيلة دم لهم واختبار
توافق نسيجي

- هذا غريب ليس من المعاد تحديد فصيلة دم
المريض في ابحاث الصغرى ، اما عن توافق
الأنسجة ، فلا بد أن هناك خطأ ما ..

هل يوجد رقم حسابي على تقرير استوافق ؟

- لا ..

- إن العمل قام بذلك لحسبه الخاص .

عصت (سوزان) شهيد اسفلى مفكرة . ثم غمغمت :

- عمقد أننى لابد ان أرى عرفة العمليات (٨) هذه

وكالعادة أدرك (بيلوز) أنه لن ينتهيها عن عزمها

مهما حاول ..

★ ★ ★

اتجهت (سوزان) إلى غرف العمليات ..

ولم يكن في هذا الوقت ، سوى حرجة تمتد وعاسى في

البطن ، فى الغرفة رقم (٢) لقد استمرت الحرجة ثمانى

ساعات ، مما يدل على خطورتها ..

دخلت (سوزان) - بثياب الممرضات - غرفة التعقيم ،

وارتدت رداء تعقيم ، ثم سرعت بحذر إلى غرفة العمليات

رقم (٨) ارتدت احذاء الحصى المعصم بحيث يمنع
الكهرباء الاستاتيكية ، ووقفت تنظر عبر الزجاج إلى داخل
الغرفة

دخلت وأصاءت النور ، وشرعت تتفحصها . كان هناك
خرطوم له وصلة خضراء كتب عليه (أكسجين) ..
وخرطوم له وصلة زرقاء كتب عليها (بيتروز) .. وثمة
وصلة ثالثة غير ملونة ، أتركت أنها حط الهواء
المضغوط ..

لا يوجد ما يشير الشك فى كل هذا ..

نظرت إلى السقف ، فوجدته مكونا من بلاطات كبيرة
عازلة للصوت ..

أحصرت كرسيًا صنعت عليه إلى خزانة كبيرة .. ثم
مدت يدها لتحسس البلاطة . كانت تتحرك بسهولة . مدت
جسدها داخل الفتحة ، وشرعت تتأمل حشد المواسير
والأنابيب المعقد فى الصوء الخافت ، وبقليل من الجهد
رفعت جسدها بالكامل فوق مستوى السقف .. وانتظرت
هنيهة ، حتى اعانت عينها على الظلام ، ببطء شديد
تحركت راحة فوق المواسير ، التى كان بعضها ساحنا جدًا
وبعضها باردًا كالثلج ..

من المهم ألا يصدر عنها صوت ما ..

ها هو ذا خط الأكسجين أخضر اللون، يصعد من
الغرفة، ويتخذ مكانه جوار الخطوط القادمة من الغرف
الأخرى .. وضعت إصبعها على خط الغرفة (٨) حتى
لا تفقده .. وشرعت تتحسسه .. حتى وجدته ينتهي بشيء
شبيه بصمام ضغط ..

صمام ضغط غير موجود في أي خط أكسجين آخر !
هذا الصمام قادر على إيقاف الأكسجين ، أو دمج أي
غاز آخر في الخط ..
لقد وجدت شيئاً هاماً ..
وعليها أن تعود أدراجها الآن ، قبل أن يراها أحد ..

★ ★ ★



وشرعت تلمس حشد المؤسّر و لا يسب المعقد في الضوء الخافت

الخميس ٢٦ فبراير الساعة الواحدة صباحاً :

دفعت (سوزان) أجر التاكسي ومشت نحو باب مسكنها . سنقوم في الصباح بالمزيد من البحث .. خاصة موضوع استحار (والترز) ، الذي تعرف أن له علاقة ما بها تبحث عنه .. ولكن كيف ؟ ..

صعدت الطابق الرابع ، وهي تتوقف من حين لآخر ، لاهثة من فرط الإنهك الجسدي والمعنوي .. ثم إنها مدت المفتاح وأولجته في (كانون) الباب ... و .. لحظة من فضلك ! ..

كنت قد وصفت قصاصة من الورق في فتحة الباب قبل خروجها ..

والآن لم تعد القصاصة هناك .. هناك من فتح الباب إذن وهو الآن يسطرها بالداخل . بالتأكيد سمع خطواتها ، وهو الآن متحفر للانقضاض عليها متى دخت ! هل تفر الآن " . هل تبلغ البوليس ؟ لن يصدقوها .. سيعتقدون أنها مجرد محاولة اغتصاب أو سرقة .

تقدمت نحو الباب وأمعت التفكير .. يمكنها أن تنزل لأي من الحيران ، لنقول إنها لا تستطيع فتح بابها ، وتطلب قضاء الليل عنده ..

بدأت تهبط درجات السلم . لكن صوت الخطوات كان عالياً .. عالياً ، إلى درجة أن الرجل سمعه بالتأكيد ..

وعند الطابق الثالث سمعت صوت بابها يفتح ، وصوت خطوات مسرعة تلاحقها ! . كلا .. لا وقت لديها لدق باب أحد الحيران . يجب أن تركض . ستحاول تصليله بين مبانى المدينة الجامعية ..

شرعت تجرى .. ووجدت أمامها مبنى قسم (الباثولوجي) و (التشريح) ..

صوت الخطوات يلاحقها دون كلل .. بنهفة فتحت باب الطابق الأول .. وهرعت إلى داخل المدرج الخاوي ..

وهنا وجدت يدلف من الباب خلفها . وإذا به يمد يده إلى مفتاح النور . كانت واقعة هناك في نهاية المدرج كفأر في مصيدة ..

هو ذا يدو منها بنودة .. وجهه المجدور . وابتسامة وحشية على وجهه :

.. أنا أعشق الفتاة التي تقاومنى !
فسها وهو مستمر في الاقتراب . كانت جوارها أسطوانة إطفاء حريق . رفعتها في يدها ، وحين اقترب ، أفرغت في وجهه سيلاً من المادة المسائلة ، ثم قذفته في صدره بالأسطوانة فسقط أرضاً ..

هرعت (سوزان) جارية نحو الثلاجة الكبيرة في غرفة الشريح ..

أما (دامبروزيو) فقد استبد به الألم في صدره .. لكنه كان ألما بلا إصابة .. الأهم من الألم هو الغضب المحموم المجنون . كيف راوغته هذه الفتاة بتلك البساطة ؟ .. أخرج مسدسه الكاتم للصوت . وهرع خلفها ..

شقت (سوزان) طريقها بين مناضد التشريح التي ترقد فوقها الجثث المغطاة بالمشمع الأخضر ، إلى باب الثلاجة العملاقة .. وفتحت القفل العملاق ..

ثم دخلت وأغلقت الباب وراءها وتحسست الحائط حتى وجدت مفتاح النور فأضاءته ..

كانت الجثث المحنطة معلقة في مشاجب على عواميد أفقية ، كما تعلق الثياب في الخزانة .. أجساد متيبسة مشوهة . والوجوه متجمدة ، بعضها مغلق العينين ، وبعضها يحمل في لانهائية مريضة ..

وتذكرت (سوزان) خوفها القديم من هذه الغرفة .. الخوف الذي لا مكان له الآن ..

ليس أمامها إلا بضع دقائق ويدخل الرجل الثلاجة خلفها ..

أغلق (دامبروزيو) الباب خلفه احتياطياً .. ثم سار بين مناضد التشريح .. واتجه نحو أول منصدة وانتزع الغطاء الأخضر من عليها ..

وشهق للحظة ، وهو يتأمل الرأس المشوه ، الذي نزع عنه الجلد .. والشعر المقنوب للوراء .. ومقدمة الصدر المنتزعة من مكانها ..

ثم أعاد الغطاء .. وعاد يكشف الأغطية عن المناضد الأخرى ، لأنه لم يكن واثقاً من أن (سوزان) لم تنم فوق واحدة منها .. حاول قدر إمكانه ألا ينعم النظر في الوجوه المريعة ..

ثم سار إلى نهاية القاعة .. إلى الثلاجة .. عادت إلى وجهه الابتسامة الشيطانية وفتح بابها ..

كانت الجثث المعلقة تبدو كجيش من الغيلان الرهيبة ينتظره . وأحس بالبرد .. قال وهو يدلف من الباب - أنا أعرف أنك هنا يا امرأة . لم لا تأتيني لتحدث ؟ وفي تودة سار بين صفوف الجثث ..

كانت يدا (سوزان) تتخليان عن العمود الذي تعلقت فيه بين الجثث ، في الصف الثاني .. لكنها تعاسكت ..

أدركت أن (دامبروزيو) يقف عند بداية الصف الذي تتعلق هي فيه .. وأدركت أن هذه فرصتها الأخيرة .. إما الآن أو أبداً ..

يكل علف استطاعته ثنت فخذنها لأعلى ، ثم ركنت ظهر
جثة المرأة التي كنت معلقة أمامها .. فى الحال انزلق صف
الجثث إلى الأمام ..

نصلب القاتل محاولاً فهم مصدر الصوت .. تراجع
كسمر ، لكنه كان ابطاً من اللازم .. رأى طابور الجثث
الهاجم عليه ، فرقع مسدسه لاشعورياً وأطلق بضع
طبقات ، لكن مهاجميه كانوا ميتين بالفعل .

ومن الطرف الحر للعمود هوى على (دامبروزيو) جسد
رجل شاحب ، على وجهه تعبير مريع .. ووزنه نحو مائتى
رطل من اللحم المتجمد كالصخر ..

وعند نوالى شلال الجثث المتجمدة فوق الرجل ..
هرعت (سوزان) جارية نحو باب الثلاثية .

حاول (دامبروزيو) الإمساك بكعبها .. بل وأطلق عليها
الرصاص ، لكن ثقل الأجساد الهائل فوقه ، جعله غير قادر
على التملص ..

وحارج الباب دفعته بأقصى قوة لينغلق .. وأحكمت
تأمينه بانفعل . وسمعت صوت المسدس يبتلق بالداخل ،
لكن سمك الباب كان ثمانية بوصات ..

دامعة العيس مرتحفة ركضت بعيداً . بعيداً عن هذا
الكابوس ..

★ ★ ★

الخميس ٢٦ فبراير الساعة ٢.١١ صباحاً :

لن تعود إلى المسكن . فمن ادراها أن مطاردها لم يكن
له شريك ، ينتظرها هناك الآن أو يطاردها ؟
ستذهب إذن إلى منزل (بيلوز) وتختفى هناك .

ولكن .. لماذا عاد القتل ليطاردها بهذه السرعة . ولم
ينتظر حتى يرى أثر تهديده ؟ (بيلوز) .. هو الوحيد الذى
عرف أنها مصممة على مواصلة البحث ، ورأى الملفات
معها . مستحيل .. لكن لا .. (بيلوز) له علاقة بقصة
العقير .. وهو من اكتشف جثة (والترز) ..

هل تقدم أم لا ؟ هي غير قادرة على اتخاذ قرار ..
رنت الجرس فى إصرار وعصبية ، حتى سمعت صوته
خلف الباب ، وفتح لها مرتدياً روب الحمام ، فأصابه
الذهول لقدومها إلى شقته ..

كانت تشعر بحاجتها إلى الصراخ والعيول بين
ذراعيه .. الثلاثية المجمدة . (دامبروزيو) .. كل هذا
التوتر ..

لكن (بيلوز) تمدد فى فراشه وأغمض عينيه لينام ..
فقال حانقة :

- لم أتوقع منك كل هذه الضيافة !

- ليس في الثانية صباحاً . إن لدى عملاً كثيراً غداً ..

- هوجمت من جديد . نفس الرجل في المشرحة ..

لم يبد مهتماً . بل إنه نصحتها من جديد بإبلاغ

الشرطة ..

قالت له إنها وجدت صماماً على خط الأكسجين ، الخاص

بغرفة العمليات رقم (٨) ، فلم يلق بالآ لما قالت ..

- أنا واثقة بأن هناك غازاً يضغط ، عن طريق هذا

الصمام . غازاً يصبب بالغيبوبة ولا يغير لون الدماء ..

غازاً يؤدي لموت الدماغ .. وإننى أرشح أول أكسيد

الكربون ليكون هذا الغاز ..

- وهل سألت نفسك عن العبور ، الذى يدفع أحذا لخلط

هذا الغاز بالأكسجين ، الذى يتنفسه المرضى ؟

- لا أدري . لكننى اعتقد أن هناك منظمة إجرامية

معيّنة ، مسئولة عن كل هذا ..

- أنت تخرفين يا (سوزان) ..

نهضت دون كلمة واحدة ، مفدرة الحجرة . ودفعت

الباب بشدة خلفها . لم يكن (بينوز) ذا عون لها قط . ولن

يكون ..

★ ★ ★

الخميس ٢٦ فبراير الساعة ١.٤١ صباحاً :

صحت (سوزان) فى غرفتها رقم (٧٣١) ، فى الفندق

الصغير ، الذى لجأت إليه فراراً من مطاردتها .. صحت من

حلم رهيب ، رأت نفسها فيه تجرى فى دغل من الأحرش

المتشابكة ، تخذش ذراعيها وساقها وهى لا تجد لنفسها

فراراً ..

تأملت (سوزان) الغرفة متواضعة الأثاث .. لا يهم ..

المهم أنها آمنة ، وأنها سمحت لها بأن تغمض عينيها فى

سلام ..

نهضت إلى سماعة الهاتف ، وطلبت د . (ستارك) ،

فجاءها صوته المهمم :

- (سوزان) .. كنت قلقاً عليك بعد حادث الأمس .. هل

أنت بخير ؟

- عندى مفعص شديد ، فلن أستطيع المجيء للمستشفى

اليوم ..

- عندى لك أخبار سيئة ، وأخرى طيبة ..

- إلى بالسيئة أولاً ..

- حسن .. السيئة هى أنك - بناء على اتصالات مع

عميد الكلية - تم نقلك إلى مستشفى (في - إيه)
التعليمي . برغم محاولاتي ، كان الجميع مصريين ، ولم
أجد مفراً .. على كل حال ليس مستشفى سيئاً ..

- للأسف إن مستواه التعليمي أقل من (بوسطون
التنكاري) ..

- الأطباء الطبية ، هي أن مدير معهد (جافرسون) ،
وافق على أن تزوريه ، بشرط أن تكوني وحدك . وأن
يكون ذلك بعد الخامسة مساءً . مفهوم ؟

- شكراً جزئياً .. هناك شيء آخر يا سودي .. لقد وجدت
صماماً مركباً على خط (الأكسجين) الداخل إلى
الحجرة (٨) ، في قسم العمليات ، ومكانه قرب الماسورة
الأم ..

- (سوزان) .. أنت غير معقولة ! .. كيف استطعت ؟
- صعدت فوق سقف الحجرة ، ودرست خطوط الغاز ..
- إن هذا أكثر من اللازم !

توقعت أن ينفجر فيها كالأخريش . إلا أن ذلك لم
يحدث .

بعد هنيهة سمعت صوته يقول بهدوء :

- حسن .. أعتقد أن لدى تفسيراً . فهذه الحجرة

أنشئت تحت إشرافي .. وأعتقد أن هذا الصمام خاص
باخراج فقاعات الغاز ، لكنني سأرسل من يقوم بلحظه
للتأكد ..

★ ★ ★

في ذلك الوقت كان (بيلوز) قد فرغ من جراحة
الاستئصال المعوي ، فبقى بقفازيه في سلة المهملات ..
لم يستمتع بإجراء هذه الجراحة - وهو يحبها حقاً -
لأنه كان يشعر بالندم على تركه (سوزان) تغادر بيته
غاضبة وحيدة ، في تلك الساعة المتأخرة .. لكنه كان يدرك
أنه على حق في تعليقاته وفي رأيه ..

إن ميله الشديد نحو (سوزان) ، يجب أن يزاح جانباً ،
إذا كان سيعرض حياته المهنية للخطر ..
وعلى باب غرفة الطوارئ ، قابل د . (جونستون)
الذي حياه .. ثم قال له في مرح :

- هل سمعت عما حدث في كلية الطب صباح اليوم ؟ ..
لقد دخل شخص مخبول مبنى المشرحة أمس ، وعرى كل
الجثث . ثم أطلق الرصاص على بعضها ، وحبس نفسه في
الثلاجة وأطلق مزيداً من الطلقات .. هي هي هي !
نظر (بيلوز) إلى (جونستون) شارد الذهن ..
(سوزان) تحدثت أمس عن اعتداء تم في المشرحة .. هل
هو نفس الرجل ؟ .. ما هو موضوع الثلاجة ؟

- وهل مات متجمداً ؟

- لا .. أصيب بغيوبة نقص حرارة ، وحتماً سيفقد
سأقيه ..

وما أثار اهتمام الشرطة حين وجنته ، هو أن بطاقته
مزورة ..

لقد ناداني طلبة الطب لأتخذ لهم رجلهم ..
لماذا لم تذكر (سوزان) كل هذا ؟ .. هل هي التي حبسته
إن ؟

حيرة شديدة انتابته ..
فصمم على أن يتصل بها ليعرف ..

★ ★ ★

الخميس ٢٦ فبراير الساعة ٤.٢٣ بعد الظهر :

ركبت (سوزان) سيارة تاكسي إلى معهد (جافرسون) ،
الواقع جنوبي (بوسطن) ١٨٠٠ شارع (واي ماوث) .
منطقة منعزلة تماماً ، بلا أثر للحياة . الضوء الوحيد
في الشارع ، كان من عمود إنارة ، يلقى ضوءه الحافت
على لافتة كتب عليها :

(معهد جافرسون - إدارة التعليم والصحة - الحكومة
الأمريكية ١٩٧٤) ..

وكما قال (بيلوز) ، لم تكن ثمة نوافذ في الطابق الأول
كله .. أما الثاني ، فكانت له نوافذ غائرة ، لا يمكن رؤية
ما بداخلها ، وتصميم المبنى كله ، يشبه الأهرام المدرجة
الفرعونية (المصاطب) ..

سارت إلى الباب البرونزي ، فسمعت صوتاً مسجلاً ،
يطلب منها أن تعطي اسمها وغرض زيارتها . ففعلت .
ظهر نور أحمر على شاشة مضيئة جانبية يقول : انتظر ..
ثم بعد ثوان تغير إلى أخضر يقول : تقدم .

وانفتح الباب ببطء أوتوماتيكياً ، لتجد (سوزان) نفسها

فى صالة واسعة بيضاء ، بلا نوافذ ولا صور وأدركت
- فى دهشة - ان الإضاءة تنبعث من الأرضية البلاستيكية
البيضاء ..

وهنا افتح باب جانبي ، برزت منه امرأة ترتدى ثوبا
أبيض ناصعا وعيناها عميقتان خاليتان من الحياة :
- مرحبا بك فى معهد (حافرسون) .. اسمى
(ميشيل) ، وعنى أن أصحبك فى الزيارة .. ولكن أقترح أن
تتركى معطفك هنا ، وكذا حقيبتك .. إن المكان دافئ
بالداخل ..

امتثلت (سوزان) على حين استطردت المرة :
- أنت تعرفين ان معهدنا هو مستشفى للعناية
المركزة بمعنى أنك لا تقبل إلا مستويات متعددة من
الغيوبة وقد نجحنا فى تقليل الطلب على الأسرة فى
المستشفيات العامة ، التى يشغل فيها مرضى الغيوبة
مساحة ما وحاليا يتم إنشاء معاهد مماثلة فى كل مدينة ،
يفوق تعدادها مليون نسمة !

ونهضت مصطحبة (سوزان) عبر دهليز طويل ، ملهى
بالمرايا والابواب الحاسية وفى نهاية الممر نختنا إلى
حجرة كبيرة تشبه العناية المركزة فى أى مستشفى .. بها
خمس سررة أحدها يرقد فيه مريض موضوع على جهاز
تنفس صناعى

قالت (ميشيل) :

- هنا يرى الزائرون المرضى فى معاهد الزيارة .. هذا
المريض كان أهله يزورونه ، فحاولنا أن نجنبهم رد الفعل
الاتفعالى العاطفى ، الذى ينتاب كل من يرى أسلوبنا فى
العلاج . والآن تعانى نر العناية المركزة الحقيقية هنا ..
وخلفها دلفت (سوزان) إلى قاعة يغمرها ضوء
غريب . ثم رأت المرضى فتصلبت ذاهلة . إن هذا
لا يصنع ..

كان بالقاعة أكثر من مائة مريض ، كلهم معلق فى
الهواء على ارتفاع أربعة أقدام .. وكلهم عار من
الثياب . وحين دقت النظر أكثر ، استطاعت أن ترى
الأسلاك التى تخترق عظامهم وجماجمهم ، وتتدلى من
(طارات معلقة .. كأنهم لى (ماربونيت) أفقية .

- كما ترين .. كثيرون من الزوار لا يتحملون هذا
المشهد ، لكنها أفضل وسيلة عرفت لمنع حدوث قرح
الفرش ..

- والضوء ؟

- أه .. الضوء إنها أشعة فوق بنفسجية ، تتحكم فى
البكتريا . ومن يظل هنا فترة ، عليه ارتداء العوينات
الواقية .. ودرجة الرطوبة هنا هى ٨٢ / مما يقلل من فقد



١٠٠ - مريض في المستشفى

عظمهم وجفاهم .

جسد المريض للحرارة، ويقل فرص التوث للجهاز التنفسي ..

دنت (سوزان) من المسرح في وجل وتساءلت :
- لا توجد ممرضات ؟

- ثلاث ممرضات وطبيب واحد . عدد كاف جداً لخدمة مئة وواحد وثلاثين مريضاً . فكل شيء الذي يتحكم فيه الكمبيوتر مباشرة ، بالقياس واتخاذ القرار فالتنفيذ !

شعرت (سوزان) بالتوتر وأدركت أن هذه الممرضة ، هي كمبيوتر آخر بلا مشاعر .. ولا تساؤلات . وهنا تذكرت (سوزان) أن معهد (جافرسون) به عدة غرف عمليات ، راتها في الخريطة التي درستها ..

من ثم سألت (ميشيل) :

- كم غرفة عمليات هنا ؟

- ليست لدينا عرف عمليات . إذا احتاج مريض لجراحة ما ، فبينا نعيده إلى المستشفى الذي جاء منه . كنت هذه هي الإجابة الخطأ . لكنها جاءت أسرع من النارم . وفي سرها أدركت (سوزان) أن المرأة كاذبة . ولكن لماذا ؟

وها مال لمريض الذي أمام (سوزان) إلى الوراء ، بحيث انخفض مستوى رأسه ست بوصات عن قدميه .. فقالت (ميشيل) :

- هذا مثال جيد .. لقد احس الكمبيوتر بانخفاض ضغط دم المريض فحركه بالأسلاك الى هذا الوضع ، قبل أن يبدأ البحث عن سبب هذا الانخفاض ..

قالت (سوزان) :

- أنا أبحث عن مريض يدعى (شون بيرمان) .
فهل ساعدتني ؟

- حتما . سأستعمل الكمبيوتر لأجد رقمه . انتظري هنا ، ولكن لا تلمسي أى سلك أو مريض . فليظم هنا متوازن بالكامل . وسيشعر الكمبيوتر بكهرباء جسديك ، ويدق جرس الإنذار

ثم تركتها وقعة . ودخلت غرفة المراقبة الشبيهة بالفواصة النووية من الداخل ..

كان هناك حارس يلبس زيا أبيض ، ويتمنطق بمسدس وجهاز لاسلكي .. تساءل في شك :

- هل من الحكمة تركها وحيدة ؟ ..

- العبيات تكفي بتركها ترى ما تريد

وبدت تصرب ازرار الكمبيوتر باحثة عن اسم (بيرمان) ..

وعلى الشاشة ظهرت البيانات :

(شون بيرمان) ذكر ٢٣ سنة - موت مخ بعد

التخدير - الرقم ٢٢٣ - ب ٤

كان يحرس برمق تدست المراقبة في اهتمام .
وفجأة عثرت في مكانه . (سوزان) لم تكن واقعة
في العنبر الرئيسي

ثم تقالت البيانات على الشاشة :

نوفى - فبراير ٢٦ - ساعة ٣.١٠ . سكتة قلبية

- لقد تخرت ساعة كمنة على (بيرمان) هذا

قال الحارس في قلق :

- هي ليست في حجرة الاستقبال ولا الممر

قالت (ميشيل) في هدوء :

- هذا سنحدثها عفا الله من الحكمة الخلاص من

هذه الفتاة ..

★ ★ ★

الخميس ٢٦ فبراير الساعة ٥.٢٠ بعد الظهر :

مشيت (سوزان) في اتجاه المشرحة . مهتدية
بالتصميم الذي أخذته من مجلس المدينة لمعهد
(جافرسون) ، وفي نهاية الممر وجدت بابا موصدا ..
ففتحت بهدوء ..

ثمة منضدة من الصلب عليها جثة رجل عار . وسمعت
ضحكة عالية وصوتًا يقول :
- ما هو وزن القلب ؟

- هذا دورك لتخمن ..
استطاعت (سوزان) ان ترى وجه الجثة .. لقد كنت
جثة (بيرمان) ..

أعدت علق الباب وشرعت تنفس بعمق كي تتماثل
أعصابها . ليس لديها وقت نصيحه الآن . إلى المصعد
انتظرت حتى مسحت عدسة الدائرة التليفزيونية
المغلقة مكن المصعد . ثم هرعت لتركيبه . صفطت على
رر الطابق الثامن . إن الرسوم تشير الى أن غرف العمليات
عند طرف المبنى يفود اليها الباب الثامن والتاسع

وفي حذر مشيت في الممر حتى وصلت إلى الباب
التاسع ، ففتحته ودخلت .. كانت هناك غرفة ثياب ومنضدة
عليها منفضة بها لفافة تبغ يتصاعد منها الدخان ..
وسمعت من الحمام صوت أنهماز المياه ..

★ ★ ★

- مستحيل .. هل تبخرت هذه الفتاة ؟
- ربما صنعت للطابق الثاني ؟
- ستكون كارثة .. سأقوم بكهربة السور الخارجي ،
وتشغيل جميع الأقفال الأوتوماتيكية .. ولتتصلى أنت
بالإدارة فورًا ..

★ ★ ★

سارت (سوزان) متلصصة إلى باب غرفة العمليات
الموصد ..

قربت أنفها بحذر من الزجاج ..
رأت اثنين من الجراحين يقومان بجراحة ما .. لكن
لماذا لا ترى منضدة عمليات ؟ .. لماذا لا يوجد طبيب
تخدير ؟ .. لماذا علق المريض كالذبيحة في إطار عملاق ،
وشق كبير في بطنه ، يقوم أحد الجراحين بغلقه ؟ .. سمعت
صوتًا يتصاعل :

- أين سيرسلون قلب المريض السابق ؟

رذ صاحبه وهو يحكم غلق إحدى الفرز :
.. (سان فرانسيسكو) إن ثمنه قد وصل خمسة
وسبعين ألف دولار . وهو ثمن تافه .. لكنهم أخذوا الكلية
بمائتي ألف دولار ..

.. إن صبي (دالاس) ينتظر . والده يعمل في
البتروول ، وقد وعد بدفع مئتين دولار .. تصور هذا !
أخذ عقل (سوزان) يعمل سريعاً . تفحصت الغرفة في
قلبي ، وقد بدأت تتبين الانية الزجاجية الموضوعة على
منضدة .. انية تشبه أحواس الأسماك ، مزودة بألات تعمل
ذاتياً مثبتة على كل حوض . رأت في واحدة منها قلباً
بشرياً ، يرتجف سابحاً في محلول .. وفي أخرى كلية
بشرية .

لقد اتضحت معالم الكبوس . الدافع .. الدافع المرعب
لكل هذا ..

إن معهد (جافرسون) ، هو ورشة عملاقة ، لإمداد
السوق السوداء بحاجتها من الأعضاء البشرية ! ..

يحب أن تهرب . يحب . ولأول مرة أدركت استحالة
ذلك (إن هذا المستشفى يديره سفاحون ، فكيف تخرج
منها؟

وهنا - حيث وقفت في الغرفة المظلمة - سمعت صوت

جرس الإنذار يدوي .. وسمعت صوتاً عالياً يتردد من
مكبرات الصوت :

.. هناك امرأة دخيلة في المبنى .. أكرر .. هناك امرأة
دخيلة في المبنى .. يجب القبض عليها فوراً !

★ ★ ★

التقطت (سوزان) مقصاً كبيراً من فوق المنضدة ،
وهرعت إلى الدهليز الرئيسي نحو باب المصعد ..

وهنا فوجئت بالمصعد يتوقف ويخرج منه حارس .
فوجئت بالرجل ، وفوجئ هو بها .. ثم إنه قال بعد أن
عاد لرشده :

.. حسن يا أنسة .. إنهم

تراجعت (سوزان) للوراء ، دون أن تسمع باقي
العبارة .. جرت نحو قسم العمليات وهو خلفها .. فتحت باباً
فالأخر ، ثم دخلت ..

لكن الرجل وضع قدمه في الفتحة .. حاولت أن تدفع
دون جدوى .. أمسكت المقص كالخبر وأغمدته في ظهر
يده ، فصاح في هلع .. وتراجع ..

عندئذ أغلقت الباب خلفها ..

أطلق الرجل سبة ، وبيد ملطخة بالدماء حاول فتح الباب
مرة .. مرتين بمفاتيح كانت معه .. ثم نجح في المرة

الثالثة، فافتحم الحجرة، ليجد أن (سوزان) غير موجودة.. النافذة مفتوحة، يدخل منها هواء (فبراير) البارد.. جرى هناك ليتفحص الإفريز الخارجى، ثم أمسك باللاسلكى ليقول:

- الفتة فى الطابق الثانى.. فرت من النافذة إلى الإفريز الخارجى. لا أستطيع رؤيتها، فهو يدور حول ركن المبنى.. هل أطلقتم كلاب (الدوهرمان)؟.. حسن!.. سأرى الإفريز من الجهة الأخرى..
قالها، وأعاد الجهاز إلى حزامه..
وأحكم غلق النافذة..

★ ★ ★

الخميس ٢٦ فبراير الساعة ٥,١٧ بعد الظهر:

لم تكن (سوزان) قد غادرت الحجرة فقد علمتها تجربتها مع غرفة العمليات رقم (٨)، أن هناك فراغا فوق الأسقف المعلقة، ولهذا تمكنت من التسلق لأعلى السقف، لتتعمد فوق البلاطة الفينيل الثقيلة، على ارتفاع ستة أقدام، فوق رأس الحارس أسفلها..
وبهذه الحيلة استطاعت أن تقنعه بأنها ليست بالمبنى أصلا..

تتهتت الصعداء، وبدأت تزحف فوق السقف بين المواسير، وهى تتفحص الرسوم التخطيطية التى فى حوزتها.. كانت هناك غرفة تسمى غرفة النقل إنها أملها الأخير. لأنها تعرف أن هناك من سينقل الأعصاب البشرية، التى رأتها ليتم زرعها حالا..
شرعت تزحف مستهدية بالضوء القادم من تحتها، متجنبه المواسير المختلفة فى طريقها، والتى كان بعضها حارفا..

أخيرا!.. لا بد أن هذه هى غرفة النقل.. حركت البلاطة تحتها، لترى رجلا جالسا فى الغرفة تحتها، يملأ طلبا

مطبوعاً .. وجواره على الأرض صندوقان كبيران ، كتب
عليهما بخط كبير (أعضاء للزرع - هذا الجانب لأعلى) ..
كانت هناك سيارة !.. وكان محركها يهدر استعداداً
للرحيل . ورأت الرجل يحمل الصندوق إلى السيارة ..
استجمعت قواها وانتزعت البلاطة .. لم يكن ذلك سهلاً
ثم إنها وثبت بأقصى ما استطاعت فوق ظهر السيارة ..
فضاع صوت ارتطامها مع صوت هدير المحرك ، وصوت
باب الجراج إذ ينفتح ..

وعلى بطنها تمددت محاولة ألا تتحرك ، لكن ظهر
السيارة المعدنى الأملس لم يكن ملائماً للتشبث
اندفع السائق يسرا فمال جسد (سوزان) إلى الأمام ..
تولاهما الهلع ، فرحلت نحو سقف الكابينة ، وانضبت
أظفارها في طرف قفحة تهوية . النعبة !.. مطب ! تطير
جسدها في الهواء ثم عاد يرتطم بسقف السيارة ..
رفعت عينها لترى ما حولها ، ف أدركت أن هذا هو
طريق المطار ..

كان المرور مزدحماً ، وتوقف السائق لحظة .. وهنا
استجمعت قواها ، وانزلت جواره إلى الأرض .
راها السائق من النافذة ، فلم يصدق عينيه .

فتح الباب ليلاحق بها ، لكنها جرت بين طابور السيارات
الواقفة ..

كاد يطاردها لكن حشد أبواب السيارات تعالى متذمراً ،
بعد ما تبدل لون الإشارة ..
فأغلق بابها ..

وصمم على ألا يخبر أحدا بروايته ..
لأنهم لن يصدقوها .. على كل حال ..



الخميس ٢٦ فبراير الساعة ٨.١٠ بعد الظهر :

مسكينة (سوزان) ١ . تركض بثوب التمريض الممتسخ الممزق في صقير الليل ، باحثة عن جهاز هاتف .. تتسول قطعة عملة من العارة ، بعد ما تركت حقيبتها في المعهد المشلول ..

لكن العارة كانوا يبتعدون في اشمزاز عنها ، لأنها بدت معتومة .. وأخيرا ناولها أحد الرجال قطعة عملة ، وهو ينأى عنها في شك ، فأخذتها وهرعت إلى مطعم قريب .. فدخلت كاهينة الهاتف ، وطلبت د . (ستارك) في مستشفى (بوسطون) التذكاري .. بعد ثوان سمعت صوته .. - د . (ستارك) .. إن لدى الآن القصة كاملة .. شيء

لا يصدق ..

- هم تتكلمين يا (سوزان) ؟

- مرضى الغيبوبة .. ليست مضاعفات تحدث بالصدفة . معهد (جافرسون) يقوم بتسويق الأعضاء البشرية في السوق السوداء .. يتلقون الطلبات حول نوع الانسجة . ثم يبدؤون البحث في المستشفيات ، حتى يجدوا المرضى المناسبين ، المنتظرين لإجراء جراحة . ويعدها

يجعلون المريض يتنفس أول أوكسيد الكربون في أثناء الحراحة ، ويدخل في غيبوبة وفاة الدماغ .. يصبح جثة حية جاهزة ، كي ينتزع جزاؤه المعهد أحشاءها ، ويبيعوها ..

كان الجالسون في المطعم يرمقونها في فضول .. فأحست بالخرج ، وأدارت ظهرها كي لا تراهم . وسمعت (ستارك) يصيح في دهشة .

- (سوزان) .. هذا كلام خطير . هل يمكنك إثباته ؟
- للأسف لا . لا بد من شخص دى نفوذ ، يتفق مع الشرطة على عمل هجوم مفاجئ على المعهد ..
- ليكن ولكن لابد من أن أراك حالا يا (سوزان) .. هلا حيت إلى مكنتى الآن ؟ أم اتى انا لاصطحابك ..
- سماتى أنا لك ..

★ ★ ★

وصع د . (ستارك) سماعة الهاتف ، وجلس برهة صامتا دون حراك ..

ثم إنه مذهب إلى هاتف آخر ..
هاتف من النوع الذى لا يمكن التجسس عليه .
وطلب معهد (جافرسون) ..

★ ★ ★

الخميس ٢٦ فبراير الساعة ٨.٤٧ بعد الظهر :

اندفعت (سوزان) جارية من سيارة التاكسي ، دون أن تدفع للسائق مالا .. لم يكن معها مال ، ولم تكن تتوى الانتظار حتى تشرح له ، جرى الرجل خلفها محنقا ، فأوقفه حارس الأمن على باب المستشفى ..

أما هي فشرعت تجذ السير في طرقات المكان .. وركبت المصعد ، وها فوجئت بأحد الحراس يوقفها - لحظة يا أنسة .. نريد كلمة معك ..

لم تدرك ما تفعله فتوقفت حائرة ..
- هل أنت متعجلة حقا إلى درجة عدم دفع نقود التاكسي ؟

كان مظهرها يؤكد بأن فعل أن هناك كارثة .
قالت له :

- سجل اسمه واسم شركته ، وسأدفع فيما بعد ..
أنا (سوزان هوينر) طلبة الصف الثالث . وليس لدى وقت الآن - إن د . (ستارك) ينتظرني ، ويمكنك أن تطلبه إذا شككت في كلامي .

- حسن ولكن أرجو أن تمرى على مكتب الأمن بعد أن تنتهى ..

وركبت (سوزان) المصعد إلى الطابق العاشر ..
لم تكن هناك سكرتيرة .. فقط د . (ستارك) في مكتبه المظلم .. إلا من ضوء الأبجورة . حياها بحرارة ودعاها للجلوس ..

- إن مظهرك يبدو كأنك شاركت في الحرب العالمية الأولى .. سأقدم لك بعض الشراب ..
كانت متداعية عقلانيا وجسمانيا وعاطفيا .. لم ترد عليه بل جلست تلهث ..

نهض إلى البار الصغير في المكتبة ، وملاكسين ناولها أحدهما .. ثم قال :

- أنت يا (سوزان) فتاة غير عادية .. هل أصبت ؟
هزت رأسها أن لا .. وجرعت من كأسها جرعة كبيرة ..
- هل تكلمت مع أحد عما رأيته ؟
- لا ..

قلتها شاعرة بانخدر يسرى في جسدها وأوصالها ..
نعم هي مرهقة للغاية . عليها ألا تفكر في (دامبروزيو) ووجهه المجذور .. جميل هو الشعور بالشفاء بعد أن تجمدت أوصالها ..

سألها د . (ستارك) في رصانة :
- كيف عرفت كل هذا ؟

- كانت لدى رسوم المعهد . حصلت عليها من محنس المدينة ، وكانت بها عرف عمليات لكن الممرضة هناك قالت لي إنه ليست عندهم واحدة . أثر هذا شكى ودرست العكس ، فوجدتهم يشقون جسد مريض عيوية ، ليبيعوا قلبه وكليتيه بأعلى الأثمان :

ونشأبت . إنها تشعر بتعب شديد حقاً .

- كل هذا مثيراً (سوزان) إن لديك بعد نظر ومثابرة ودكاء لاشك في ذلك لكن هل سالت نفسك عن السبب وراء هذه العملية العجيبة ، التي كشفت عنها بمهارة فذة . أعنى سبباً غير المال ؟

- إنها طريقة بلخلاص من الأشخاص غير المرغوب فيهم

- كلا . أعنى فذة أكثر عمومية للمجتمع ..

كانت عيناها تنعقد أكثر فذة ؟ عم يتحدث هذا الرجل ؟

- د . (ستارك) .. أنا لا أظن أن

- هيا يا (سوزان) . لقد بدلت جهداً راسعاً . حاولي أن تفكري !..

- لا .. لا أدري :

- لقد حسبت أنك من الفئة لقدرين على رؤية الجانب الآخر :

- أي .. جانب آخر ؟

لقد كنت تقاتل كي تبقى عيناها مفتوحتين .. الخدر يزحف لأزاعيها ..

نهض (ستارك) ومشى نحو النافذة الزجاجية الكبيرة ، التي تطل على المستشفى العملاق ، الذي كدح لبنائه كل هذه الأعوام ..

- (سوزان) إن انطب قد صار على باب أعظم اكتشافاته ، منذ عرف الحدير والمضادات الحيوية .. لسوف نتمكن من زرع كافة الأعضاء البشرية . لكن هذا لن يجرى دون توضحيات ليس بدون ثمن

لقد كان (ليوناردو دافنشي) على استعداد لتخطي بعض الحواجز القانونية . من أجل النجاح . ماذا لو أنه لم ينبش القبور ليشرح الجثث ؟..

ماذا لو أن (كوبرنيكوس) خضع لقوانين الكنيسة الجامدة ؟. أين كنا سنصير اليوم ؟. هل تفهمين ما أقول ؟ حاولت (سوزان) رفع يدها لكنها لم تستطع .. هوى الكأس على الأرض منهشما صوت (ستارك) يواصل الكلام

- إن نظامنا القضائي غير موهل لاتخاذ قرار كهذا .. هم لا يجرون على إنهاء حياة مريض ، حتى ولو كان مخه قد تحول الى عجيبة لا حياة فيها ولا نفع . كيف يتقدم العلم في ظروف كهذه ؟ ارحو يا (سوزان) أن تفكري

بحرص .. أعرف أنك لا تستطيعين ذلك فى اللحظة
الراهنة .. لكن حاولى .. أنت تنتمين إلى صفوة العقول ..
ونحن نحتاج إليك ولأمثالك ، نحن فى هذا المستشفى
ومعهد (جافرسون) ..

فهل أنت على استعداد لتكريس ذكائك وجهدك ، لصالح
العلم والطب والمجتمع ؟

جاهدت (سوزان) حتى رفعت جفنيها ..
وقالت شيئاً ما ..

انحنى (ستارك) مقرباً رأسه من فيها :
- تكلمى يا (سوزان) وسأسمعك ..

استجمعت قواها .. وبآخر حشاشة من إرابتها همست :
- عليك اللعنة يا

ثم سقط رأسها على كتفها ..

تأملها (ستارك) برهة فى حلق ممزوج بالإحباط .. كان
بحاجة إلى ذكائها الحاد ، لكن لا بأس ما زالت الاستفادة
ممكنة من (سوزان) ..

ورفع سماعة الهاتف طالباً غرفة الطوارئ

★ ★ ★

الخميس ٢٦ فبراير الساعة ١١,٥١ مساءً :

كانت حجرة النوبتجية مؤنثة تأثيثاً بسيطاً للغاية ، حيث
جلس (بيلوز) يطالع مجلة طبية حديثة ، عاجزاً عن
التركيز فى الواقع .. فعقله وضميره يؤرقانه باستمرار من
أجل (سوزان) ..

لقد عرف أنها دخلت المستشفى كمريضة بالتهاب
الزائدة الدودية ..

وعرف أن (ستارك) هو من سيستأصلها لها .. لكنه
طلب من زميل له أن يعاون (ستارك) ، لأنه لن يستطيع
أن يجرى الجراحة لـ (سوزان) بهذه البساطة .. لن يكون
موضوعياً .. ثم إنه لا يشعر باطمئنان ولا يدري لماذا ..
رفع سماعة الهاتف وسأل الممرضة :

- فى أية حجرة عمليات ستجرون الجراحة
لـ د . (سوزان هويلر) ؟
- غرفة رقم (٨) ..

غريب هذا ! .. يا لها من مصادفة ! .. الحجرة التى قالت
(سوزان) إن كل حالات الغيبوبة حدثت فيها ، وإن هناك
صماماً يتصل بخط الأكسجين لا تعرف وظيفته .. ربما كان

يخلط أول أوكسيد الكربون بالأكسجين كما تخيلت
(سوزان) ..

لماذا لا يتأكد بنفسه ويفحص هذا الصمام .. بينما
(سوزان) فى غرفة العمليات ؟ .. ربما كان هذا سخيفاً
لكنه - على الأقل - سيرضى ضميره ..

★ ★ ★

(سوزان) الآن على ظهرها ترمى سقف ممر يتحرك
فوق رأسها .. لا .. هى التى تتحرك فوق محفة تدفعها ..
وتسمع أصواتاً مختلطة .. وترى رؤى متداخلة .. غرفة
التشريح .. يذا مطعونة بمقص .. وجه السفاح المجدور ..
جسد (نالسى) الشاحب ..

حاولت الكلام لكن صوتاً لم يخرج من حلقها ..
حاولت الحركة لكن ذراعها كانتا مسمرتين إلى
جانبيها ..

ها هى ذى غرفة التعقيم .. هناك جراح أمام الحوض ،
يلبس على وجهه قناعاً ويفتسل .. لكنها عرقته .. هو
(ستارك) ! ..

- هل تريد مساعدة أم اثنين يا سيدى ؟
- إن واحداً يكفى لجراحة بسيطة كهذه .. سأنتهى خلال
ربع ساعة ..

وتستمر المحفة فى سيرها .. وترى باب غرفة
العمليات .. وترى رقم (٨) ! ..

يجب أن تنهض .. يجب .. لكن أيد قوية ترفعها من
وسطها وقدميها إلى منضدة الجراحة .. تستجمع قوتها ..
ترفع يدها اليسرى لتقول بصوت خفيض وهى تشعر أن
المخدر يزول :

- أرجوكم .. أنا لست .. لا ..

- لا تقلقى .. كل شيء سيكون على ما يرام .. تنفسى
بعمق !
- لا .. لا ..

لكن قناع التخدير هوى على وجهها ، وشعرت بوخزة
الإبرة ..

وفى الهواء رأت عينى (ستارك) تنظران لها من فوق
القناع ..

★ ★ ★

الطبيب المساعد متوتر عاجز عن إجراء العقد ..
فوجود (ستارك) كان يثير أعصاب الجميع .. وطبيب
التخدير كان يرتجف .. فهو يريد الانتهاء سريعاً من هذه
الجراحة .. لقد حدثت ضربات قلب شاذة للمريضة ، كادت
تقتله رعباً ، ثم فجأة توقف خط الأكسجين القادم من

الحائط .. وهي أول مرة يحدث له هذا فيها ، طيلة الثماني سنوات التي عمل فيها كطبيب تخدير .. واضطر إلى استعمال اسطوانات الطوارئ بسرعة .. كان من الممكن أن يكلفه هذا حياة المريضة ..

- كم بقي لكم من وقت ؟

- خمس دقائق ..

قالها (ستارك) وهو يعقد الخيط بأصابعه المتعريسة السريعة ..

كان هو نفسه متوتر الأعصاب .. ولقد ظن المساعد أنه هو سبب هذا التوتر ، لكن (ستارك) كان قلقاً بسبب توقف (الأكسجين) ..

ذلك الخطأ الذي لم يكن في الحسبان ..

كان هو الوحيد الذي يعرف أن ضربات القلب غير المنتظمة معناها أن (سوزان) تلقت أول أوكسيد الكربون من خط الأكسجين ..

لكن هل نالت كفايتها حقاً ؟

الشيء الثاني الذي أثار توتره ، هو الأصوات الغريبة القادمة من أعلى .. من فوق السقف المتحرك ..

الشيء الثالث الذي أثار توتره ، كان ذلك الزحام خارج غرفة العمليات .. وهو شيء غير معتاد في منتصف الليل .. كل هؤلاء الناس الذين يراهم بوضوح خلف زجاج الباب ..

كانت هذه هي الغرزة الأخيرة ، فألقى بماسك الإبر الصينية ، وبدأ يعقدها بيده كعادته ، حين فُتح باب الحجرة ، ورأى أربعة أشخاص يتقدمون نحوه .. وكان (بيلوز) من بينهم ..

كانوا يرتدون ثياب التعقيم ، لكن (ستارك) استطاع أن يرى الثياب الزرقاء تحت أردية التعقيم هذه .. ثياب رجال الشرطة ..

وساد الغرفة صمت رهيب ..

- نحن بانتظارك يا د . (ستارك) ..

رفع رأسه بعد ما أنهى عمله ..

وأدرك أن شيئاً ما كان خطأ ..

شيئاً ما كان خطأ .. على طول الخط ..

روبين كوك

١٩٧٧

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

